الموسوعة الصغيرة

٢٨٢

دراسة في الادب الافريقي الحديث

لورنس كورباندى كوديس

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والاداب

تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة

رئيس التحرير موسى كريدي

سكرتير التحرير ماجد اسد

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٧

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

دراسة في الادب الافريقي الحديث

لورنس كورباندى كوديس

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٧

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

الفهرست

(١) المدخل لدراسة الادب الافريقي الحديث ١٣

(٢) اضواء على الشعر والمسرح والفن الافريقي ٦١

المقدمة :

شعر : لورنس كروباندى

سنغال غنى..

غني للافارقة للزنجية

افريقيا سوداء انت ،

لكن وفاءكِ لكل العاشقين .

يقول المذنبون : ان في سوادكِ شراً

فيرد الله لهم : ان في سواد حكمة

افريقيا..

افريقيا ، ربما ترغبين ان تكوني بيضاء

عند ذلك نحن نرفضك ونرفضك ثم نرفضك

يقولون فيك الكمال ان تمزجي ،

الا ان في المزج ضياعاً .

سنغال....

افريقية انتِ وكل مَنْ فيك لسواك غزوة

ياارض تراثها الزنجية ،
غنيت لنا ، اذن تعاهدنا ابداً ،
ان الافرقة سبيل ،
ونورٌ يضيء فوق السماء الشرقية ،
ليرسم حرفاً يذكرهم بالعبودية الغربية
عند ذلك سيسمع الله صوتاً
انا افريقيٌ .. انا افريقية .

هنا قد يتبادر الى ذهن قارىء هـذه الدراسة منـذ الوهلة الاولى ، ومن العنـوان ان الحـديث عـن الادب الافريقي بهذا الشكل ، يفترض ان ياخذ الطابع الشمولي لكل الآداب على نطاق القارة باسرها . لكني قصدت بالادب الافريقي هنا ، البلاد الافريقية السوداء التي تقع جنوب الصحراء .

لقد عاش جنوب الصحراء ، اي البلاد الافريقيـة السوداء ، منقطعاً عن الجزء الشمالي من الناحية الادبية . مع ان هذا الجزء « جنوب الصحراء » ، عرف بشكل علم وجهاً خاصاً به في الحياة .

يقول جيرالد مورو [1]: ان وجه الحياة في ذلك الجزء يحفل بالرقص والانغام والموسيقى . كما عرف الانسان الافريقي ، الكثير من الفنون والصناعات وله اسلوبه الخاص في النحت والحفر على الخشب وتشكيل النحاس وطرق الحديد . وله فلسفته الخاصة القائمة في جانبها المادي والدنيوي على العمل والمشاركة والتعاون والحب والخير وفعله ، والقائمة في جانبها الميتافيزيقي الروحي على السحر ووحدة الوجود وهيمنة الكائن الاعظم على الوجود بأسره ، والاعتراف بالعالم الاخر واحترام الموتى والتوصل اليهم وبهم الى الخير . حتى اذا طرقنا عالم الادب وجدنا تراثاً هائلاً من الاساطير والحكايات والامثال والملاحم والاغاني .

اذن ، ان الحديث عن الأدب الافريقي الذي اقصده ، سيكون محصوراً فقط بالادب الافريقي في جنوب الصحراء فضلاً عن إعتبارات اخرى تتمثل في ان الادب في بلدان شمال الصحراء يصنف ضمن الادب العربي العام ، لاسيما ان تناول موضوع الادب الافريقي في جنوب

الصحراء يختلف في التناول عن المواضيع التي يتنـاولها ادب شمال الصحراء الذي هو ادبٌ عربيٌّ . مع توافق او تطابق فيما بينهما في « الانواع الادبية » [٢] . لكن جواهر المواضيع التي يتنـاولها الادبـاء في المنطقتـين « جنوب وشمال الصحراء » مختلفة . لان الادب حقيقة تاريخية وعامل كاشف له .

في افـريقيا ، ولاسيمـا السوداء منهـا ، التي هي موضوع بحثنا ، نجد ان في العقد الاول من هذا القرن قد ظهرت الدعوة الى النهضة الافريقية الشاملة ، والدعوة الى وجود الشخصية الافريقية . وفي الثلاثينات من هذا القرن برزت المدرسة الزنجية ونظرية « الزنوجة » التي تعبر عن القيم الانسانية والثقافية والاجتمـاعية والسيـاسية بـل الحضارية للزنوج . واحتلت الزنوجة الصدارة الاولى في الفكر الافريقي ، عبـر عنها ادبـاء كثيرون كمـا لم يترك الشعراء في افريقيا مجالاً الا وتحدثوا فيه، فالشـاعر او الاديب او الفنان الافريقي ، لايتحدثون الا تغنياً بالزنجية

لقد لعب هذا الادب دوراً كبيراً في سنوات التحرر الوطني الافـريقي . ولعل دور الاديب في حـركة التحـرر الوطني وفي تغيير البنية الاجتماعية كدور السياسي في تغيير البنية السياسية او اشد خطورة . لذلك كان لابد ان تنال هذه الدراسة مفردات تتضمن : مدى حرية او دور هـذا الادب في ظل التحدي الاستعماري ، الى جـانب سماتـه وتراثه واثر الزُنُوجة فيه .

اخيراً فلابد من الاعتراف بان حديثنا عن المسرح والفن الافريقي كان موجزاً على امل العودة اليه في دراسة ادق واشمل مستقبلاً.

المؤلف

بغداد في ١٩٨٥/٢/٢٦

الفصل الاول

المدخل لدراسة الادب الافريقي الحديث

١ - تعريف الادب الافريقي

٢ - سمات الادب الافريقي الحديث

٣ - التراث في الادب الافريقي

٤ - مدى حرية الادب الافريقي في ظل الا
الاستعماري

٥ - عصر النهضة الادبية في افريقيا السودا

٦ - اثر الزنوجة في الادب الافريقي

١

تعريف الادب الافريقي الحديث

لما كان الادب حقيقة من حقائق التأريخ ونتاجه ، وعاملاً كاشفاً له ، فلن يكون الادب الافريقي بعيداً عن هذا المنحى .

وبقدر تعلق الامر بتعريف هذا الادب ، فانَّ هناك كثيراً من التعاريف المتقاربة، فيمكن تعريف هذا الادب من خلال الطريقة التي نشأ فيها . فمثلاً عندما بسط الاستعمار الاوربي في القرن التاسع عشر سيطرته على القارة الافريقية ، قسمت القارة تلك التقسيمات التعسفية الى مناطق النفوذ السياسي ، فالناطقون بالفرنسية قلدوا كثيراً من آداب فرنسا . والناطقون بالانجليزية سلكوا مسلك الانسان الانجليزي في هذا المجال .

(وقد تميز « فرنكوفون » اي الناطقون بالفرنسية بكتابة الشعر . في حين تميّز انجلوفون « اي الناطقون

بالانجليزية » بكتابة الرواية) . وفي هذا الصدد يقـول الدكتور المرحوم كوامى نكروما : انه حتى التعبير الأدبي الذي يمكن اشبـاعه عبـر جهد وارادة وتضحيـة ، كان محصوراً ضمن حدود النظام الاستعماري . وقـد حاول بعض المؤلفين الافارقة الخروج عن هذا النظام من اجل التشرب والاستشهاد والانطباع بروح حيويـة من خارج نفوذ الادارة الاستعمارية . مع ان كلاً منهم يستوحي مادته ويستمدها من اجواء بلاده الاصلية والمناخات السياسية المختلفة . فان كل واحد منهم وجد نفسه كل حسب موقفه ، يعبر عن الصراع والاحتجاج في مكانه وزمانه (٢) . تلك هي الطريقة التي نشأ فيها هذا الادب .

فاذا نظرنا الى هذا التعريف من خلال الصورة التي نشأ فيها هذا الادب ، وهو الظرف التـاريخي الذي دفع ادباء الافارقة الى اقتباس بعض اعمال الاستعمار في المجال الادبي ، رغم اعتمادهم في ذلك على مادتهم الخاصة التي تتميز بافريقيتها ، هذا الامر قد يقود بعض الناس الى القول

بان ليس لافريقيا ادب خاص بها . وهذا غير صحيح ، إذ يمكن الردّ عليهم ، بان الانسان الافريقي الذي اثبت وجوده من خلال فلسفة (الزُنُوجة) بعد ان حطم الجدار الذي بناه الاستعمار ، هو الذي خلق الادب الافريقي . نحن لانريد ان يفهم هذا الكلام على اننا نتحدث عن شخصية رواد هذا الفكر الضاربة جذوره في ارض افريقيا ، انما نقصد بذلك الفكر الافريقي والفلسفة الافريقية بما في ذلك نتاج هذا الفكر ووليد هذه الفلسفة « الادب الافريقي الحديث » .

واذا نظرنا الى ما كان يسود الادب الافريقي ، من جوانبه الفنية ، لانجد له الا تفسيراً واحداً . وهو التفاعل الثقافي والحضاري بين الادب الافريقي وآداب هذه الامم . وخارج هذا الاطار ، نكون امام : من اخذ بعناد حكماً مسبقاً ، فانه لايرى للافريقيين اية مساهمة في العمل الحضاري العام في حين ان الحقيقة تؤكد كون افريقيا تساهم من خلال الزُنُوجة في دفع مسيرة الادب الى الامام .

من هنا يمكن تلخيص هذا الفهم للادب الافريقي من خلال الصورة التي نشأ فيها إنه : ذلك الادب الذي اتخذ من الظرف التاريخي الذي فرضه الاستعمار عليه ، قوة ، واستمد طاقته من تراث اجداده ، ليرمي به في وجه الاستعمار ثورة ، مستخدماً في ذلك لغة الاستعمار بوصفها حاجة اضافية .

لقد حاولنا أن نضع تعريفاً مختصراً لهذا الادب وذلك من خلال فهمنا الخاص له ، لكننا لا ندعي أنَّ هذا التعريف جامع مانع ، لاننا لم نحظَ بزمن كافٍ لدراسة هذا الادب . ولكن الاعجاب كان دافعاً للبحث فيه . فالادب الافريقي اذن هو : « ذلك الادب الذي يتناول موضوع الاصل الافريقي ، حقيقة تاريخية بعيداً عن العنصرية ، مستنداً على فكرة الزُنُوجة مظهراً من مظاهر الأفرقة ، ويتخذ في ذلك شتى الوسائل الادبية في التعبير عنه » . والجدير بالذكر اننا لانجد كاتباً او فناناً او شاعراً او اديباً او سياسياً محنكاً من مجتمع افريقيا السوداء كتب عن

افريقيا بمعزل عن فكرة الاصالة الافريقية او القومية الافريقية ، فانهم في الغالب لايخرجون من دائرة الزُنُوجة ، وهم يرفضون محاولة طمس كل ما هو افريقي اصيل . لذلك كان الموضوع الاكثر هيمنة على الادب الافريقي الحديث في سنوات اليقظة الافريقية على غيرها ، هو موضوع الزنوجة التي تعبر عن حالة الزنوج في شتى جوانب الحياة ، لانها عنصر من العناصر التي ستكون فاعلة في الدعوة الى القومية الافريقية [٤] .

فموضوع القومية الافريقية ، ضمن هذه المواضيع التي تناولها الادب الافريقي الحديث . لذلك سنتحدث عنها بايجاز لكن لانخرج من اطار هذا الفصل .

من المعروف ان مفهوم القومية قد ظل مرتبطاً بجملة من العناصر . منها وحدة الاصل والجنس واللغة والدين والمدنية المكتسبة والعادات والتقاليد الموروثة ووحدة الاهداف والاماني المشتركة ووحدة العقيدة الوطنية

والرغبة في العيش في نظام اجتماعي وسياسي معين .

واذا كانت هذه هي الارضية التي تجد فيها القومية موقعاً لها ، فان القومية الافريقية ليست بعيدة عن هذه الارضية .

اذا تناولنا كل هذه العناصر على حدة ، نجد ان افريقيا تتمتع بكل هذه العناصر باستثناء وحدة اللغة والدين التي لم تعد اصلاً من العناصر المهمة في القومية .

في المدنية المكتسبة على سبيل المثال ، فقد استطاعت الشعوب الافريقية وبدون ان تعتمد الا على قواها الذاتية ان تنظم الدول وتشيد مراكز ثقافية وتحافظ عليها كمركز تمبوكتو وان تنجب من بين افرادها رجال سياسة ممتازين مثل « كونجو - موسى » .

وهناك دراسات تؤكد على ان لافريقيا السوداء حضارة واحدة الى حد كبير ، حيث يؤكد لنا « دينيز بولم » في كتابه (الحضارات الافريقية)، على ان ثمة ممالك قامت في بعض اجزاء افريقيا وبعضها يعود تاريخها الى القرن

الحادي عشر ، امثال مملكتي أوغادوغو وياتنغا في بلاد موسى التي ارتبط مصيرها بامبراطوريات « ماندنغ وسنغاي » في بلاد « سين Sine » [٥] . وكانت هذه الممالك على مستوى سياسي رفيع اذ عرفت نظام الحكم ذا الصلاحيات المطلقة ، كما عرفت النظام الضريبى السنوي وكان لها جيش خاص يستدعى عند الطوارىء . كذلك ان هذه الممالك قد جعلت شعوباً متعددة كالفولبيس والسراكلى والتوكولور امة واحدة لفترة من الزمن ، فكانت امة عرفت بـ « الفولا » تتحدث بلغة الفولبيس واستمرت كل هذه الامم والممالك والمراكز الثقافية حتى ايام الاستعمار الاوربي .

ضمن هذا الاطار نجد في جنوب القارة ممالك مثل مملكة « اللوانغو » بورجانتيل والزامبيزي وهي سيدة لممالك اخرى ، ومملكة اللوانغو هي الاخرى تخضع لملك الكونغو في القرن الخامس عشر [٦]. وسوى هذه الممالك نجد دولة تدعى دُوغو ، ملكها يلقب بـ « غولا » . ومن الاسم

جمع البرتغاليون اسم انغولا المعروفة في الجنوب الغربي من القارة . وقد اكد انا دينيز بولم على وحدة الحضارة في القارة السوداء على « ان ما يمثل من اثار لعين المشاهد في نغولا من الابنية والابراج التي تشبه ماهو من نـوعها في رودوسيا (زيمبابوي حالياً) ويحمل على تأكيد لتجانس حضاري كان قائماً بين شعوب البلاد المنتشرة من انغولا وحتى الزامبيزي [٧] . اخيراً ومن الناحية الحضارية ايضاً هناك الاشياء المستقرة في الفكر الافـريقي وهو يستقبـل بعض المفاهيم من اوربا ومن العـرب وبعض الافكار من أسيا ، كثيراً ما لاتنسجم مع الافكار الموجودة فيه آنياً . هذا مايشير اليه التعبير السياسي بان افريقيا ليست صفحة بيضاء يمكن رسم كل الانطباعات عليها .

اما عن وحدة الاهداف والاماني المشتركة والرغبة في العيش في نظام اجتماعي وسياسي معين ، فنلاحظ ان الافارقة في هذا الاطار يتطلعون دائماً الى العيش في نظام سياسي واحد لذلك اقيمت منظمة الوحدة الافريقيـة التي

تعبر عن امانيهم واهدافهم المشتركة كحد ادنى وضمن هذا الاطار ايضاً ، فلا ينبغي ان ننسى دور الفن . وفي المجال الادبي ، لقد تغنى المرحوم اقوستينو نيتو الرئيس الانغولي السابق لكل من الكونغو - جوريجيا ونهر الامازون وهو يقف في ذلك عند الروابط التي تربط هذه الشعوب وذلك في قصيدة له تقرأ :

« اشواق »

اغنيتي بما فيها من برحاء الألم
واحزاني
على الكونغو ، وفي جيوريجيا
وعلى نهر الامازون
تشد قواها ، وتتأبد عراها
احلامي بالرقصات السود
في ليالي البدر المكتمل
تستعصم اسبابها ، تتوثق عراها
ذراعاي تستحصدان اركانها

عيناي تتأكد منهما الاواصر
وصرخاتي تنعقد عراها
الظهور التي جلدتها السياط
والقلوب المهجورة
والروح المستمسكة بالايمان
والشكوك ، تبرم عراها ... الى اخر القصيدة .

في هذه الوقفة ، نلمح توكيداً على رابطة الزُنُوجة التي تعبر عن قيم الزنوج الثقافية والاجتماعية والسياسية والحضارية . لذلك ربط شاعرنا بين الزنوج في الكونغو (زائيري) والامازون في امريكا ، وقد كان يعيش معاناة السود عندما قال :

عيناي تتأكد منهما الاواصر
وصرخاتي تنعقد عراها
الظهور التي جلدتها السياط

اما في العادات والتقاليد الموروثة بين الافارقة في جنوب الصحراء فلم تختلف كثيراً . مثلاً في النيجيريا حيث

قبائل الياروبا الذين لهم تقاليد راسخة نجدها في « غناء الحصاد » وغناء الصيد ، كأنما هم قبائل المورو والباريا والدينكا [٨] في جنوب السودان حيث يغنون اغنية خاصة بموسم حصاد الذرة الشامية والصيد الجماعي .

اما عن وحدة الاصل والجنس ، فقد تناولها علم الانثروبولوجية الذي يهتم بدراسة السلالات البشرية .

لقد تناول هذا العلم السلالة الزنجية الكبرى التي تسمى احياناً بالسلالة الزنجية الاسترالية واحياناً اخرى السلالة الافرو آسيوية واحياناً اخرى السلالة الاستوائية [٩] . وقد حدد هذا العلم صفات عامة مشتركة للزنوج ، وهي اللون الداكن للبشرة وعظام الوجنتين ضيقة وغير بارزة ، الانف لايبرز في تضاريس الوجه وفتحات الانف واسعة وعريضة ... الى غير ذلك من الصفات . وحدد المركز الرئيسي للسلالة الزنجية بانها هي افريقيا المدارية « اي جنوب الصحراء » .

من هنا وفي خلال ما تناولناه بالبحث من عناصر القومية، إذن لا يمكن حرمان افريقيا من هذه السنة

الكريمة ، ذلك لانهـا تتمتع بقـدر كبير من هـذه العناصر بـاستثنـاء عنصـري اللغـة والدين اللذين لايُعـدّان من العناصر المهمة في القومية .

وكل هذه العناصر التي وقفنا عندها بالايجاز ، هي التي جعلت الشعوب الافريقية السوداء شعباً واحداً مهماً ، كما ان هذه العناصر خلقت للشعوب الافريقية شخصيـة افريقية واحدة التي عبرت عنها « الزُنُوجة » ، ومن خلالها يأتي دور الادب ، وهذا الدور يتمثـل في تعميق القوميـة الافريقية وتوصيلها الى آداب امم اخرى بوصفها حقيقة تـاريخية مجـردة بعيداً عن المنحى العنصـري وبالتـالي يساهم الادب الافريقي في دعم الحركة الادبيـة في عموم الكرة من خلال ما تعطيه المدرسة الزنجية .

هذا التعريف البسيط للأدب الافريقي الحديث هو الذي يقودنا الى تحديد السمات الاساسية له .

٢

سمات الادب الافريقي

في اوضاع شديدة التفجر كـالتي تحدث في عمـوم القارة في السابق ابان الاستعمار الاوربي المباشر « هذه الاوضاع مازالت موجودة في جنوب القارة » ، وتمثلت هذه الاوضاع في المعارك السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تخوضها الشعوب الافريقية السوداء . وهذه المعارك جعلت الادب الافريقي متسماً بسمة خاصة .

ان القارة الافريقيـة استسلمت للغزاة ولكنهـا قد اشعلتها ناراً في السبعينات من القرن الماضي في كل اقاليم القارة . لذلك نرى هناك حرب الزولو وحرب لمابيل وحرب اشانتي وثورة الشاغا في تنجانيقا « تنزانيا حالياً » ، كذلك تجريدات لوقارد ضد امراء الفولاني في النيجـر ، وحرب الفرنسيين ضد ساموري على النيجر الاعلى ورابح الزبير في اقليم تشاد ومذابح الالمان في شرق افريقيـا التي تعرف بثورة « ماجي ماجي » وحروب هـريرو في جنـوب غرب

افريقيا . كذلك مانليك ملك اثيوبيا « مكة افريقيا » المتوفى عام ١٩١٣ الذي استعصى على الغـرب ولاسيما جيـوش ايطاليا . كذلك الملك مانامبيل لويتقولا في زيمبابوي ، والملك موتسا في اوغندا المتوفى عام ١٨٨٤ م [١٠] .

وفي القـرن الحالي الذي ورث القـرن الماضي بكـل محـاولات استلهام مســألة النهضة الافـريقية في ظل التحدي الاستعماري ، وعالم ما بعـد الثورة الصنـاعية والوضـع غير المتكافىء بين الدول الافريقية وبين الاستعمار ، نجد ان ثمة ثورات عدة منذ العقد الاول من القرن الحالي .

في موزامبيق ، انتفاضة شاملة بـدأت عام ١٩١٧ واستمر هذا الموكب النضالي حتى قيام الثورة الموزامبيقية المسلحة في ٢٥ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٦٤ م . كذلك في زيمبابوي ، ثورة مسلحة بدأت في اغسطس (آب) عام ١٩٦٣ م التي هي الاخـرى امتـداد لثـورة ١٨٩٤ م المـوزامبيقية . كـذلك في غينيا ، هنـاك ثورة عنيفـة ضد الطغيان الاستعماري ... الى جانب الكثير من الثورات في

افريقيا [١١] .

في مثل هذه الاجواء الساخنـة لايمكن وجود ادب خلاق غير سياسي بوجه من الوجوه ، وحتى الكاتب الذي يختار النضالات الاجتماعية لبلده يحاول خلق عالم فني خاص ، يقول شيئاً مثيراً للجدل عن مسؤولية الفنان تجاه المجتمع .

ففي خضم هذه المعارك التي سبق ان تحدثنا عنها ، كان من الطبيعي ان تجعل من الادب الافريقي ادباً متمرداً ، ادباً ثورياً . كما انها جعلت الادباء يتحدثون بلهجات الاحتجاج والثورة ويزجون الشعوب الافريقية في النضال المستمـر في سبيـل حسم الصـراع القـائم بينهم وبـين المستعمرين لاحتلال هذا الاخير بلاد هذه الشعوب .

لذلك نجد ان من ابرز السمات التي يتسم بها الادب الافريقي الحديث ، هو ، الصراع والاحتجاج في هذا الادب . اذن ما اصل هذا الصراع والاحتجاج ؟

بلا شك كان الصراع ، هـو الصراع عـلى الاصل والاحتجـاج هو الاحتجـاج على الوجـود الاستعماري في

ارض افـريقيـا والتمييـز العنصـري ورفض كـل الوان الاستعمـار في القارة السـوداء . ويبـدو هـذا الصـراع والاحتجاج جليين في الاعمال الادبية لشعـوب افريقيـا ، سواء كانت مقالات سياسية او فكرية او اشعاراً او اعمال الفن المسرحي او القصصي او الروايات . فاذا اردنا ان نلمس هذا الصراع او الاحتجاج ، نجدهما بشكل واضح في الشعر الافريقي الزنجي ، فلنـأخذ عـلى سبيل المثـال قصيدة لشاعر من الزولو في جنوب افريقيا « بندكت وولت فيلاكازي » الذي يتميز شعره بالرؤية والمراوغة الشديدة التركيز على الصراع والاحتجاج حينما كتب في قصيدته « في عيد الفصح »[١٢] التي نشرها بلغة الزولو قائلاً :

هذا القمر الذي اراقبه الآن يبزغ
قوساً كسيراً يتألق فوق
كامل السماء الغربية
يذكر الجميع بجليل الاحداث :
من اجل هذا يا الهي ،
نحن نشكرك ـ نتذكر ايضاً كيف انك

تجولت في ارض افريقيا هذه ،
ارض الناس السود ،
ولم تلازمك زمرة من الخدم !
ولهذا يا الهي ذهلنا .
كان بامكانك ان تجرد جنسنا القديم
من الفضة والذهب والاحجار الكريمة
التي تزين تيجان وثياب
امراء الكنيسة والدولة .
غير انك اغلقت عينيك عن كل هذا :
من اجل هذا يا الهي ،
نحن نشكرك .
رقدت على الارض فوق حصير
وجلست على مقاعد من خشب مع اناس بسطاء ،
هم عشيرتك ، الغارقون بالكوارث والذنوب
وعلاوة على ذلك فان اخي الابيض ينبذني
ويشمئز مني ويستغلني
لهذا يا الهي ،

اين سألتجيء ؟
القمر عال ، والسماء مرصعة بالجواهر
القمر انت ، والمجرات تتألق
بالنجوم . تلك هي دموعك ودموعي .
ايا من هام مشرداً في هذه الدنيا ،
اشرق على الارض وبدد ظلامها !
فعند ذلك حتى نحن يا الهي ،
قد نبتهج .

وتستمر القصيدة وتتناول صلب موضوع الصراع والاحتجاج حينما قال :

فآهدني ، انا الاسود ،
مثالك وطريقة حياتك
انت يا مَنْ جاهدت كي تجعلنا ننتبه
الى الحاجة ، الحاجة الماسة لقول لا ،
لا في الفكر والعمل
ولهذا السبب يا الهي
اقدم شكري .

في القصيدة انسجام تام من حيث المواضيع . رغم تعددية هذه المواضيع الا انه يظهر في كل موضـوع وجه الصراع والاحتجاج ، كذلك سبب الصراع والاحتجاج . كما ان في القصيدة اسلوبين اولهما هادىء وثانيهما عكس ذلك تماماً حيث جسـد فيه كـل معاني الثـورة والتمرد . فالشاعر حينما يقول شيئاً يعاني منه المجتمع عليه ان يقوله بشاعرية هادئة ولكن عندما يشير الى رد الفعل تجاه هذا الشئ ، ينبغي ان يكون هذا الرد في صيغـة غضب عارم وعليه ان يجسد فيها كل معاني الثورة . ومثل هذا الاسلوب نجده في هذه القصيدة :

علاوة على ذلك فان اخي الابيض ينبذني
ويشمئز مني ويستغلني
لهذا يا الهي ،
اين سألتجىء ؟

وفي هـذا الوضـع الذي يـسـوده الاشـمئـزاز والاستغلال ، نجد ان الشاعر قد واجهه بالرفض حينما قال:

انت يا من جاهدت كي تجعلنا ننتبه
الى الحاجة ، الحاجة الماسة لقول لا ،
لا في الفكر والعمل .

هكذا كان وجه الصراع والاحتجاج في الشعر الافريقي الزنجي .

اما اذا اردنا ان نلمس الصراع والاحتجاج من خلال عمل ادبي روائي ، فنراهما من خلال رواية « تيربون وولف » التي كتبها وليم بولم في عام ١٩٢٦ م والتي تعد وثيقة ثورية للافارقة . من اجل توضيح وجه الصراع والاحتجاج من خلال هذه الرواية ، اجد نفسي مضطراً لاقتباس مضمونها .

تحكي هذه الرواية عن تيربوت وولف وهو رجل من اوربا ، جاء من إنجلترا الى جنوب افريقيا ونزل في مدينة صغيرة تدعى « افوزين » . عمل فيها تاجراً ، كان يجمع بين كثير من المواهب . نجده رساماً وعازفاً ومزارعاً . وعمل في الفلوكلور « التراث الشعبي » .

وفي مدينة « أفوزين » وجد تيربوت وولف كثيراً من

امثاله من الاجناس الاوربية . وهم نورد سكارد نرويجي الاصل ويعمل مبشــراً ، كلود كوست اسكنـدنافي وفليشر والكاهن فوذرنكي وزوجته ، كوزي فــان هوفـك « قابلة هنـدية الاصــل » وفرانسيس مـزارع وفرستـون وهــو الشخصية الثابتة في الرواية وسفروت الماني الاصل ونهليز يومبي ، وآنسة مابيل اوربية . ومن الشخصيات الافريقية في الرواية ، كيلب موسومي وزكريا ابن عمه . اذن هـذه الشخصيات مجتمعةً تمثل في حد ذاتها التعداد السكاني لمدينة « أفوزين » . وهذا التعداد والاحصاء جعـل من البيض اغلبية ، الا ان العكس هو الصحيح . المهم في الامر

ان هؤلاء قاموا بتكوين منظمة تهدف الى ضرورة التـزاوج بين الاجنـاس المختلفة . لكي يضمن مستقبـل الملونـين في افريقيـا . ومن جهة اخـرى ضمان افــريقيا للافريقيين . لكنه سرعان ما حدث الانقسام داخل المنظمة ادى في النهاية الى انهيارها بسبب الصراع بين فرستون الاوربي الاصل وبين زكريا موسومي الزنجي اصل سكان المدينة ، بسبب حب هذا الاخير الآنسـة مابيـل الاوربية

الاصل وهي صاحبة الفكرة في تكوين المنظمة ، وهي تميل الى زكريا موسومي الزنجي ، وذلك تنفيذاً لمبدأ تزاوج الاجناس .

ان « فرستون » الذي كان يرغب في الآنسة مابيل ، لما ادرك أنه لايستطيع الزواج منها ، لجأ في النهاية الى ادمان المخدرات ، وسبب له ازدواجاً في شخصيته . فتارة هو رجل المثل العليا الذي يعمل من اجل حل مشكلة الشعب ، وتارة اخرى ، هو الرجل الذي يشعر بالحب الى مابيل التي من جنسه (أوربي) .

عندما اقترن زكريا (الزنجي) بـ (مابيل) ، يصل فرستون الى قناعة بانه مخطىء ، واللفظ الذي كان يستخدمه « تمازج الاجناس » ، كان مغلوطاً ويقصد به فقط خلط العناصر الاوربية المختلفة الموجودين في مدينة « أفوزين » التي تؤلف في النهاية سكان جنوب افريقيا . وليس القصد من استخدام لفظ « تمازج الاجناس » ، هو التمازج بين الاوربيين والافارقة . فمن الواضح فيما سبق ان الرواية قد كشفت عن الصراع الذي كان يدور بين

السود والبيض وهو الصراع على الاصل ، الذي يتمثل في موقفي فرستون الاوربي وزكريا الزنجي ، فضلاً عن كشفها للاحصاء السكاني لمدينة افوزين الذي جعل اغلب سكانها من البيض ، في حين ان الاغلبية كانت من السود .

هناك جانب اخر لهذه الرواية وهو الجانب الفكري الذي يتمثل في ان الرواية تمثل وثيقة للعمل الثوري للافارقة في هذا الجزء، وهو الهدف الأساس وراء كتابة هذه الرواية حيث يرى الكاتب وليم بولمر أن لابد من عملٍ فنيٍّ يقوم بمثل هذه الرواية لانها تكشف عن حقيقة تيربوت وولف كما انها توضح اصل الذين ولدوا في مدينة «افوزين» والوافدين اليها والذين يجب ان يرحلوا منها [١٣].

اما اذا نظرنا الى هذا الصراع بوصفه تطوراً ما قد حدث في الادب الافريقي ، نكون امام صفة من صفات الادب الافريقي . وقد اخذ هذا الصراع اشكالاً مختلفة . في غرب افريقيا الناطقة بالفرنسية ، اتخذ شكل الزُنُوجة . وفي شرقها وجهاً اخر وهو هيمنة الكائن الاكبر على الوجود ، ونرى ذلك من كتابات جمو كينياتا في كينيا . وفي جنوب

القارة مهد هذا التراث الادبي ، اتخذ الصراع وجهاً اخر واكثر وضوحاً كما رأيناه في قصيدة فيلاكازي ورواية تيربوت وولف . ولكن مع ذلك فان جوهر الصراع واحد وهو الصراع حول الاصل .

اما اذا نظرنا الى الصراع من الزاوية التاريخية يمكننا رسم الصورة كاملة له ، وذلك من خلال تاريخ هذا الادب في الكثير من مؤلفات الافارقة السود ، امثال سان طومى (شاعر من جزر رأس الاخضر المولود عام ١٨٦٤ والمتوفي عام ١٨٩٠) وفيلاكازي (شاعر زولو المتوفي عام ١٩٤٧) ووليم بولر (عام ١٩٢٦) كذلك كاميل ، لورنس فان يوست من جنوب القارة . وفي الشرق ، جان جوزيف رابرفلر من ملاقاشي ، جان بابتست موتا باروكا من رواند ، بيترس مواتي من اوغندا والمرحوم جموكينياتا من كينيا . وفي الغرب ، ارض تراث الادب الزنجي ، نجد ليبولد سيدار سنغور سنغالي (المولود عام ١٩٠٦) والشاعر جبريل اوكارو في النيجيريا واشين اشيبي وبعض هؤلاء الادباء سوف نتعرض لنتاجهم الشعري في الفصل الثاني

حيث نلقي اضواء على الشعر الافريقي .

اخيراً ، اذا نظرنا الى هذا الصراع من ناحية الوعاء الذي تتجسد فيه فكرة الصراع ، نجده وعاءاً بشرياً ولم يكن وعاءاً الهياً [١٤] . كما ان تجربة الصراع في الادب الافريقي لم تخضع لمبدأ سيادة الانسجام الكوني ، اي التناقضات الكونية مثل الصراع بين الليل والنهار . اضافة الى ان هذا الصراع يعكس نفسه حول احداث من حيث الاصل تقوم على عناصر ثلاثة هي : الحدث ، المكان ، وزمان الصراع . ولم يكن احادي العنصر .

وخلاصة القول لما بيناه من صفة الادب الافريقي الحديث ، هو ، ان ما يتسم به هذا الادب هو الصراع والاحتجاج . ولقد اتينا بمثالين من الشعر والرواية باعتبارهما ميدانين من ميادين الادب المتعددة من النثر والمقالة والقصص ... الى اخر ذلك . بالبحث في هذه الميادين نجد ان صفة الصراع والاحتجاج تلازمان الانتاج الادبي وكثيراً ما يصعب الفصل بينهما .

٣

التراث في الادب الافريقي

سبق ان بينتُ الصراع والاحتجاج في هذا الادب ، سواء كان في اشعار الشعراء ، في المثال الذي اتيت به في قصيدة فيلاكازي « في عيد الفصح » او المثال الذي جاء في رواية « تيربوت وولف » ، لكاتبها وليم بولمر (في عام ١٩٢٦) ، وكان سبب الصراع فيها هو ، الصراع على الاصل والاحتجاج ضد كل اشكال العنصرية اينما وجد .

وفي العشرينيات وحتى الاربعينيات من هذا القرن وبفضل تطور الوعي السياسي والفكري في عموم القارة ، وفي افريقيا السوداء على وجه الخصوص ، نجد ان النتاج الادبي يتخذ مجرى له في شتى الميادين الادبية . وكان لهذا الادب حظ كبير يوم تكونت فكرة الزنجية او الزنوجة في عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن . وفكرة الزُنُوجة او الزنجية هي التي تمثل في الاساس تراث هذا الادب . ذلك

لاننا لانجد مبدعاً ابدع الا وتحدث عن الزُنُوجة التي عبرت عنها مؤلفات كثيرة ، الى جانب المجلات التي كانت تصدرها طلائع من شباب الزنوج الافريقيين في داخل افـريقيا او خارجها . مثل مجلة African Brother التي انشأتها الطليعة الزنجيـة في باريس ، ومجلة « بـلاك ارفويـوس » Black Orpheus التي كانت تصدر في عبـادان في نيجيريـا في عام ١٩٥٨ ومـجلة « تـرانسشن Transition » التي تصـدر في كمبالا في اوغندا بين عامي ٦١ ـ ١٩٦٨ .. الخ .

كل هذه المجـلات وغيرهـا ، كانت بمثـابة الشعلة المضيئة في العقل الزنجي وكلها كانت ترفض التمثل (١٥) . كما ان كلاً من هذه المجلات كانت تؤدي وظيفة اساسية وهي توفير مؤلفات كتـاب الافارقـة امثال ليبـولد سيدار سنغور وغيرهم من الكتاب والادباء الافارقة الى قرائهم . واصبحت هذه المجلات دورية تزود المدارس والجامعات بالادب الافريقي . وفي عام ١٩٦٧ ، ثمة مجلة تميزت من غيرها من المجلات عندما طرحت موضـوعاً مهمـاً ، وهو

موضوع اللغة ، وهي المسألة التي مازال يعاني منها الادب الافريقي. وهذه المجلة باسم «مقدمة في الادب الافريقي». كانت تشجع اللغة القومية للشعوب الافريقية وإنشاء الادب بها. في احدى اعدادها عام ١٩٦٧ م، كتب فيها ULLI Bier مقالة في هذا الموضوع حيث قال «اننا لا ننسى التراث العظيم في الادب الشفوي للقبائل الافريقية لانه ارث الماضي الذي لابد ان يستند عليه ادب المستقبل مثل الشعر التراثي لصيادي قبائل اليوربا في نيجيريا.»[١٦] وقد كتب عن صراع الثقافات في الشعر الافريقي في افريقيا الغربية قائلاً: «ان الشاعر في افريقيا الغربية الذي ينظم شعره باللغة الغربية، يجد نفسه في موقف عصيب، فالمفروض به ان يكون ملتزماً قومياً ومنشغلاً بنقد القيم الاوربية ورفضها ويضطر الى استعمال اللغة الاوربية للتعبير عن هذا الرفض، فان لعملية تشجيع اللغات القومية ونشوء الادب فيها، اهمية كبيرة، ولكن تطور الادب باللغة الانكليزية او الفرنسية او البرتغالية او غيرها من اللغات،

يصبح حاجة اضافية»[١٧]. وان مؤلفات الافارقة والمجلات المار ذكرها هي التي لعبت دوراً رئيساً في خدمة الحاجة الاضافية للادب الافريقي، وهي تعتبر محفظة ووعاءاً لتراث هذا الادب. اضافة الى ان هذه المجلات كانت عاملاً اساسياً في دفع مسار الحركة الادبية في افريقيا السوداء والتي تعد الان رافداً من روافد الثقافة العالمية الحديثة ولاسيما من حيث اعتمادها على فكرة الزنوجة اداة تعبير عن القيم الانسانية والثقافية والاقتصادية والسياسية والحضارية للزنجي في افريقيا وفي العالم على وجه العموم.

٤

مدى حرية الادب الافريقي في ظل التحدي الاستعماري

ظل الادب الافريقي يعاني من القهر والكبت والمصادرة ولاسيما في سنوات التحرر الوطني Years of Liberty في معظم البلاد الافريقية . هذه الحالة مازالت موجودة في جنوب افريقيا العنصرية. ونتيجة للدور المهم الذي كان يلعبه هذا الادب ، فرض الاستعمار رقابة وقيوداً عليه. لانَّ فيه تحريضاً للشعوب الافريقية ضد الاستعمار. ويمكننا ان نرى هذا الدور من خلال ما كتبه الادباء الافارقة . ففي جزر الرأس الاخضر ، اخذ « كاوبرديانو دمياد » يحرض ويحث شعبه على الثورة من اجل بلاده عندما قال:

انصت الى هتافات الشعب المنطلقة
من « دار المعونة الاجتماعية » ،
من المداخن ، من الحقول الجرداء .

ومن البطون الخاوية..
اهجر الكوخ ، والام ، والاخ..
وكل شيء..
كن واعياً ، اذهب الى الجبال
خذ سلاحك..
وقدماك ثابتتان على الارض ،
اشهره فوق ذرى الجبال ،
في ايام الجوع ، او في ايام الرخاء
في الحرب ، او في السلم ...
قاتل من اجل حرية بلادك » (١٨) ... الخ .

اذن مثل هذا الدور الفعال للأدب الافريقي ، جعل الاستعمار يتخذ الموقف المتشدد منه ، ويفرض عليه الرقابة والقيود احياناً والمصادرة احياناً اخرى . وظلت الدوائر الاستعمارية تتمسك بهذه الرقابة والقيود والمصادرة ، طوال السنوات التي سبقت الاستقلال السياسي لبلدان افريقيا السوداء . واستمرت هذه الحالة ولكن بشكل اقل في بعض البلاد الافريقية في مرحلة ما بعد الاستقلال ، عندما

امسك الزمام عملاء الاستعمار من الانظمة الرجعية والدكتاتورية وخاصة عند بروز ظواهر الانقلابات العسكرية في افريقيا . ومثل هذه الرقابة والقيود بالتأكيد تؤثر وتنعكس اثارها السلبية على الادب ونتاجه فيعرقل وصوله الى الجمهور الافريقي.

اذا اخذنا على سبيل المثال ، « دينيس بروتس » ، (الاديب الزنجي من جنوب افريقيا العنصرية ، المولود عام ١٩٢٤ من ابوين افريقيين) . قد منع بمرسوم صدر عام ١٩٦١ م من كتابة او نشر او تهيئة الجو لاي شيء يمكن نشره ذلك لانه بموجب هذا المرسوم تعد الكتابة من الاعمال الاجرامية [١٩] . رغم هذا الجانب السلبي لمثل هذا النوع من القيود والرقابة على هذا الادب ، الا انها قد تمثل جانباً ايجابياً في مرحلة معينة . اننا قد نجد في ظل ظروف القهر والمصادرة ، يستطيع المبدع وخصوصاً الثوري ، ان يبدع ، وبفعل الظروف التي يعيشها الابداع الثوري الرائع مما لاوجود له في الحالات والظروف العادية .

لكن ثمة رقابة اخرى ، وهي رقابة المجتمع على الادب

لعل دور الاديب في حركة التحرر الوطني وفي تغيير البنية الاجتماعية كدور السياسي في تغيير البنية السياسية او اشد خطورة ، فالمجتمع بتقاليده وأعرافه واخلاقياته له رقابة على ما يقدمه ايَّ عضو من اعضائه وهذه الرقابة لاتقل خطورة عن تلك التي يفرضها الاستعمار في المجتمعات المتخلفة ، « آسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا » ، فانّ الاديب يكتسب منها اخلاقيات ويتشبع بها او الجزء الكبير من هذه الاخلاقيات والتقاليد والاعراف والعادات التي تمثل جملة العناصر المحيطة بالمجتمع . هذه العناصر هي التي تنظر وتراقب عمل الاديب فيما اذا كان سيخرج نتاجه الادبي من محيطه الاجتماعي او سينتقص من شأنه باعتبار انه جزء من المجتمع الذي يعيشه ، لذلك فعليه ان يصور ما يحيط بالمجتمع ، تصويراً صادقاً في الأقل ، وان لايقف مع ما كان غير جميل في هذا المجتمع ويتظاهر او ينظر اليه وكأنه ليس موجوداً بالأصل او هو موجود لكنه غير قبيح .

اما حرية الادب الافريقي في ظل التحدي الاستعماري ، قد ظلت ولفترة طويلة معدومة حتى سنوات التحرر الوطني في افريقيا . وضمن حركة الثورة الافريقية الشاملة فقد تمكن الادب الافريقي في عصر النهضة الادبية من تحطيم الجدار الذي بناه الاستعمار ويدخل بنتاجه في عموم القارة وأسهم في دفع حركة النهضة الادبية فيها .

٥

عصر النهضة الادبية في افريقيا السوداء

ان تاريخ الفكر الافريقي ونتاجه الادبي ليسا بالحداثة التي يراها بعض الناس ، لقد بدأ هذا الفكر والعمل الادبي المنظم مع تمبوكتو ، وجن ، وسفالا ، وسار نحو دان فديو وشاكا والوقتمبولا ، وما انقطع المسار بعد هؤلاء ، إذ حمل الشعلة ازكوي ، ونكروما ، ويحملها اليوم نخبة من الادباء . من سنغور في السنغال الى بولان جواشيم في البنين في الغرب . ومن جان بابتست في رواند الى تسفاى فيرا في اثيوبيا « مكة افريقيا » هؤلاء في شرق القارة .

هذا الموكب المتحرك لا انفصام فيه وان اختلفت الوانه وتعددت وسائل تعبيره عن واقعه ومثاله بمر الزمان والاحداث .

قد يجد المرء نفسه امام صعوبة تحديد عصر النهضة الادبية في افريقيا الا ان رياح التغير التي هبت على

القارة الافريقية في الخمسينيات واوائل الستينيات ، هذه الرياح ، التي تتمثل في بطولات الشعوب الافريقية في سنوات التحرر الوطني ، فان هذه البطولات في الفترة التي أرصد ثورتها ، تحمل في ثناياها وطيات فكرها عناصر بقائها . فالادب كان حافظة لهذا الفكر . وفي نفس الوقت يعيش عصر نهضته ، وكانت مسؤوليته في هذه الفترة مزدوجة . وهي دعم النضال السياسي في التحرير ، ورفد الثقافة العالمية من خلال ما تطرحها المدرسة الزنجية ، من فكر وفلسفة « الزُنُوجة » التي تهدف الى اعادة الاعتبار لما يصدر عن الزنوج من الفكر والفن مبعداً سهام تشكيك الغربية ، خصوصاً بقدرتها « الزُنُوجة » على الخلق والابتكار ، معززاً في الوقت ذاته بروابط التفاعل بينها وبين الحضارتين الاوربية والامريكية .

لما كانت مسؤولية الادب الافريقي في عصر الثورات للشعوب المستعمرة ، ومنها الشعوب الافريقية ، هي دعم النضال السياسي في التحرير ، نجد في افريقيا السوداء

وخاصة في مطلع هذا القرن ونهاية ستينياته ، تمثل عصر النهضة الادبية فيها . لان هذه الفترة حافلة بالنتاج الادبي . ولكن هذا لايعني ان ماضيَ افريقيا كان مظلماً في هذا المجال . فالحضارة كانت في افريقيا علماً ، وكانت في القارة فلسفات نابعة من افكار الأفارقة وتجاربهم في الفكر والحياة . كانت هناك مؤسسات ثقافية عريقة جداً مثل مركز « تمبوكتو » الثقافي . استمرت هذه المؤسسات حتى ايام الاستعمار ، حيث عاشت افريقيا مرحلة الانحطاط ، ثم أتت مرحلة النهضة التي سميتها عصر ثورات الشعوب المستعمرة .

لانعرف عن ماضي افريقيا في هذا المجال الا القليل . والسبب في ذلك يعود الى طبيعة القارة الطبغرافية ، بالاضافة الى ذلك فان الادب الافريقي لم يكن مدوناً في معظمه . إذ كان في صدور السحرة والكهان ، وكانت الاحاديث يتناقلها خلف عن سلف نراها اليوم متناثرة في الكتب وعلم وصف الانسان . كما ان الاديب الافريقي لم

يكن معروفاً في السابق عدا الذي جاوز حدود لغته الخاصة . هذه الاسباب مجتمعة هي التي جعلت الاديب الافريقي غير معروف لدى كثير من الناس الا الذين يهتمون بهذا الادب . كذلك نجد هذه الاسباب قد توهم الناس بحداثة تاريخ الادب الافريقي . غير ان تاريخ الفكر الافريقي مثله مثل اي تاريخ قوم ، حديثه وقديمه ، رغم وجود بعض المحاولات من كتاب اوربا في انكار وجود التاريخ للقارة السوداء . [٢١] .

اخيراً نعود الى التأكيد على مسألة بداية النهضة الادبية ، فعلى الرغم من تحديدها بمطلع هذا القرن ونهاية الستينيات ، الا ان الاربعينيات والخمسينيات حتى الستينيات لهذا القرن تحفل ببواكير النهضة الاولية لهذا الادب ، ذلك لان في هذه الفترة قد ساهم الكثير من بلدان افريقيا السوداء مساهمة فعالة في دعم الحركة الادبية في عموم القارة .

٦

اثر الزنوجة في الأدب الافريقي

الزنوجة ، كما يعرفها ليبولد سيدار سنغور ، « هي العقد لجميع من القيم التي تميز الشعوب السوداء الثقافية منها والاقتصادية والاجتماعية والسياسية » [٢٢] او هي « تمثل شيئين : الوجود الافريقي والثقافة الافريقية » [٢٣] . هذا من تعريف الشاعر الملاقاشي روبيما ناجارا . حيث ان الزنوجة هي اداة التعبير في هذا العصر عن الثقافة الافريقية .

لقد كان الطبل والغناء في زمن الابيد هما اداتا التعبير عن الثقافة عند الزنجي الافريقي . لأنه لم يخترع الكتابة . الزُنُوجة اذن ، هي وعاء زنجي ، يحتوي على الثقافة الافريقية وهي بوتقة الثقافة الزنجية في داخل افريقيا وخارجها .

اذا تأملنا هذا التعريف بغية الوصول الى الفهم الحقيقي للزنوجة ، ينبغي ان نتعمق اكثر فاكثر في

المسوغات التاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية .
فهي بالتاريخ ، حركة الزنوج في هذا القرن على وجه العموم وزنوج افريقيا على وجه الخصوص وتهدف الى التأكيد على الذات ورفض التمثل .

والزُنُوجة من الناحية السياسية ، تمثل المواضيع الاكثر اثارة في سنوات التحرر الوطني في معظم البلدان الافريقية ، هدفها اصلاح الوضع غير المتكافىء بين السود وبين المستعمرين بعيدة عن المطالب الآنية ، كذلك الوعي بالتراث الافريقي .

اما الزنوجة من الناحية الاجتماعية فهي تحدد الخطوط القومية تحديداً ادق وتصور الحقائق الاجتماعية تصوراً اعمق .

اخيراً ، فالزنوجة ثقافةً ، هي الوعاء الثقافي للزنوج عموماً كما هي اداة تعبير عن القيم الثقافية للزنوج . لذلك لم تنقطع الزُنُوجة عن الاستمرارية لانها مرتبطة بالتراث الثقافي رغم المحاولات التي كانت تهدف الى انهاء دورها في

حركة التاريخ ، الا انها كانت دائماً قلعة منيعة اذ لم تكن وليدة لظروف عابرة .

لقد حاول الذين لايثقون بانفسهم من الزنوج تحطيم الزنوجة حينما قالوا : ان الزنوجة حركة عنصرية « كاتب زنجي ايزاكيل مقاليل من جنوب افريقيا » . او انها فكرة خيالية ، هذا من افكار الاستاذ صامويل او هي فلسفة هروبية « يقولها الماركسيون » ... الى غير ذلك من الانتقادات . وهؤلاء كانوا يعيشون على الهامش لانهم دخلوا مسرح الحياة العامة قبل اليقظة الافريقية الشاملة وهم ينتمون لجو فكري مزدوج ـ كانوا متشبعين بافكار اوربا المضادة للفكر الافريقي الوطني . مع ذلك ان الزنوجة فكرة عالجتها اقلام الزنوج ونجد الشباب المعاصر في افريقيا السوداء يمتلكون الثقة العالية بحاضرهم ومستقبلهم تجاه افريقيا ومستقبلها في شتى مجالات الحياة . فأن اخذوا من العلوم والآداب والفنون والحرف الغربية فهم يهتمون بادوات هذه النظم فقط وليس بالنظم نفسها .

وقد كتب « بيكو ولامير أندولا » واثقاً بنفسه وثقته تجاه افريقيا ومستقبلها حينما قال : امضيِ في سبيلك ايها الانسان . لن يحدك حدٌ ان اخترت ، او يثقلك ماضٍ . انت رائد نفسك وسلطانها الرب . صغها كيف شئت في اية صورة رأيت ، لايزعجك وازع ، تسير وراء اختيارك. انزل بها الاعالي آلهة تكالف الالهة. انظر اعماقك ان شئت، واقدامك ان اردت. سر على الارض شحاذاً، وسر عليها اميراً. فالامر كله بين يديك. ابعثها جديدة هذه النفس بين جناحيك واقبرها ذليلة وانت سلطانها ... الى آخر الكلام [٢٤].

وحركة الزنوجة من الناحية الثقافية ، كانت وما زالت تحتل مركزاً ثقافياً رفيع المستوى . لذلك كان من الطبيعي ان تؤثر على الادب في افريقيا السوداء ، كذلك يؤثر بها هذا الادب . وهذا الاثر نراه واضحاً في مؤلفات الافارقة ولاسيما في الشعر الزنجي . فالزُنُوجة عندهم مثل باب النسيب عند العرب قديماً .

يقول سان طومي (١٨٦٤ ـ ١٨٩٠ م) من جزر

الرأس الاخضر في مطلع احدى قصائده « الزنجية »[٢٥] :

ايتها الزنجية الجميلة ، من الفحم الرقيق الدقيق
ينبثق منه الماس ،
ياابنة الشمس ، ايتها النجمة المحترقة
بنار الآباء ..... الى اخر القصيدة .

كذلك هذا الاثر نراه في حوار كان يدور في نفس الدكتور كوجير اقري Kwegir Aggry (١٨٧٥ ـ ١٩٢٧ م) من غانا كوامي نكروما ، يقول اقري Aggry :

«اذا صعدت روحي الى السماء ، وقال لي ربي ، أقري Aggry ، اني سارسلك الى الدنيا ، فما رأيك .. أتفضل ان ترجع ابيض اللون ؟ . سوف اقول لربي ، لا ، لا ، ارسلني اسود ، رجلاً اسود معتماً كامل السواد »[٢٦] .

اذن قد سيطرت الزُنُوجة على فكر هؤلاء الكتاب مما جعلتهم ومن خلال نشاطهم الثقافي يمجدون اللون الاسود ويضعونه بالفعل مكان الافتخار به .

اما في عهد ليبولد سيدار سنغور (١٩٠٦م)

وجيله ، كان اثر الزُنُوجة في الادب الافـريقي واضحاً . فالزُنُوجة هي فكر ، كذلك هي السياسة كما انها اصبحت مبعثـاً للفكر الزنجي الافـريقي واداة تعبيـره عن قيمـه الثقافية والحضارية . يقول الشاعر فرانشيسكو خوشيه تانريرو (١٩٢١ ـ ١٩٦٣ م) في قصيدة له بعنوان « من اعماق القلب الافريقي » ، في مقطع له ، تقرأ :

قلب افريقي تهدر فيه انهار قديمة
وفي اعماق شاكا .. سنغور
قلب افريقي معك ياصديقي « يواكيم »
حتى تغني اغنياتك المحرقة ،
لقد كنت تغني افريقيا البعيدة
وترسل حنينك الى الكونغو
من قلب افريقي ...

* * *

قلب افريقي ظهر يوم افريقيا العظيم
مع ظهور الشمس في الافق

تحيل ظلال الزنوج الى نقط سوداء
وتنام في الحرارة المشعة
الناموس الذي يستيقظ ليلاً...
قلب افريقي في ليالي السهر الطويلة
وابكي بهدوء على رتابة دقات الساعة
التي ستفجر .. الى اخر القصيدة » [٢٧] .

والقلب الافريقي ، هو نزعة انسانية وهي الزنوجة التي تعبر عن هذه النزعة ـ فالنزعة الانسانية في القرن العشرين تشكل ملتقى التبادل بالقلب والروح والأخذ والعطاء . والزُنُوجة تأخذ من الاخرين وتعطي لهم وتلتقي وتتبادل معهم بالقلب والروح .

يبرز اثر الزنوجة في الادب الافريقي الحديث في المرحلة الحالية من خلال نتاج ادبائه ورجال فكره ـ نكروما ـ ديوب ـ سنغور والى غيرهم . لقد صاغ سنغور من افريقيا قضية ورسالة ولم يترك موضوعاً ادبياً اومداخلة ثقافية الا وتطرق فيها الى الزنوجة ، فهي من ثوابت شخصيته

الفكرية . وهذا البعد يظهر اكثر ما يظهر في مقالاته الادبية التي تناولها بالبحث ـ الشعر الزنجي الامريكي ، كل من فيكتـور هيغـو ، بـول ايلوار كـلاسيكـي « الوحـدة المستعارة » (٢٨) .

اذن ، الادب في افريقيا السوداء يتأثـر بالزُنُـوجة وتؤثر فيه ويتميز بافريقيته. كما ان الشعر فيها لم يخرج من هذه السنة. سواء مايقوله سنغور في سنغال او جبريل اوكارا في نيجيريا او جان في مـلاقاشي او بيتـر مواتي في اوغندا . ذلك لان فن كل شعب يحمل مواصفات نابعة من تاريخه الخاص او جغرافيته الخاصة او أصوله في الادب الافريقي ، وهكذا احتلت الزُنُوجة الموقع المتقدم في الادب الافريقي وجعلته فعلاً ادباً افريقياً ، يتميز بافريقيته .

الفصل الثاني

اضواء على الشعر والمسرح والفن الافريقي

١ ـ الشعر في افريقيا

٢ ـ في المسرح الافريقي

٣ ـ في الفن الافريقي

ا

الشعر في افريقيا

منذ اواخر القـرن الماضي مـروراً بثلاثينيـات هذا القرن وحتى يومنا هذا تشهد العواصم الافريقية شعـراً يتميز بافريقيته ، تمجيد اللون الاسود والافتخار به ، وكثير من قصائد شعراء افريقيا تحكي عن رجال الفحم ورجال المعجزة ، وينطقون بلسان الزلزال .

يقول الشاعـر « ارماتـو » Armatto من غانـا في قصيدة له بعنوان « في اعماق الرجل الاسود » وهي من اروع قصـائده عن الزنجيـة وتمجيـد اللون الاســود والافتخار به ويقول فيها :

الهُنا اسود
نادي عليه من الغابات
من التلال الى الاحراج
دع الاحراج تسترجع الصدى
الهُنا اسود

هذا الاسلوب سائدٌ في الشعر الزنجي في افـريقيا السـوداء ، ولايعني انهم يـدافعـون عن لونهم من بـاب العنصرية ولاتعصباً لذلك اللون ، لانهم قد جازوا منذ زمن بعيد عقدة قشرة الانسان الخارجية ، لكنهم قصدوا بذلك التعويم الثقافي والجمالي والحضاري ، مستهدفين بـذلك انقاذ القارة من الشيخوخة المبكرة . ولاسيما عندما ظهرت الدعوة الى وجود الشخصية الافريقية ، فكل من كتب شعراً لم يتـرك شيئـاً الا وتغنى بشـاعـريتـه الى الزنجيـة (الزُنُوجة) لأنها المعبرة الحقيقية عن هذه الشخصية .

كما يقول ليون داماس الشاعر الغاني مفتخراً بلونه الاسود في قصيدة له بعنوان « البطاقة السوداء » قائلاً :

لن يكون الابيض زنجياً قط
لان الجمال اسود
والحكمة سوداء
لان التحمل اسود
والشجاعة سوداء

لان الصبر اسود

والحديد اسود

لان الجاذبية سوداء

والسحر اسود

واهتزاز الارداف اسود

لان الرقص اسود

والايقاع اسود

لان الفن اسود

والحركة سوداء

لان الضحك اسود

لان المرح اسود

لان السلام اسود

لان الحياة سوداء

هكذا كانت الزنجية وما زالت تحتل الصدارة الاولى في الشعر الزنجي . لكنما معارضو الزنجية اعتبروا هذا الاتجاه اكثر رومانسية وتبسيطاً على الحياة والتاريخ

الزنجي « هذا من أفكار ازقيال مفاليلي ، احد ابناء جنوب افريقيا » ، وخارج افريقيا يقول البعض الاخر ، ان هذا اللون من الشعر ليس افتخاراً بـاللون الاسـود لكن في الحقيقة هو التعصب له « محمد عبد الغني السعودي » .
لكن الامر ليس كذلك ، فكل ما يتعلق بالزُنُوجة هو التعويم الثقافي والجمالي والحضاري والمعنى البسيط لهذا اللون من الشعر هو الافتخار . والافتخار بـاللون الاسود ليس كـردود الافعال تجـاه المفاهيم التي قـد رسخت في ذهن الاغبياء بان السواد شر ، وليس خيراً ، هـو التشاؤم لا التفاؤل والتوكيد على ذلك ، كثيراً اذا ما يريدون الاساءة للانسان الاسود يقـولون له : « يا اسـود » . غير اننـا لانرفض هذه الكلمة الجميلة لانها ترمز الى صفتنا وبنفس الوقت يرفضها الانسان عندما يشعر بان لونه يستخـدم ضده .

وضمن الاطار الادبي للزُنُوجة ، هو الشعر . والشعر في افريقيا السوداء ، هو الصوت ، هو الرقص هو الموسيقى

، وهو الطبول . كما ان الزنوجة تمثل بـالنسبة لافـريقيا فلسفة تاريخها اي بمعنى النشاط الانساني بكل ابعاده ومغازيه وهي قصة الانسان الزنجي في صدامه مع الطبيعة من اجل اخضاعها ومحصلة هذه الصدامات ايضاً . كذلك هي قصـة الانسان الزنجي في صـدامه مـع المجتمعـات الاستعمارية والعنصرية ومحصلة هذه الصدامات . اذن الزنوجة هي المعبرة عن كل شي في افريقيا السوداء بما في ذلك الشعر الافريقي الزنجي . اما الشعر في هذا الجزء ، فيكتب اهله بلغات متعددة منها قومية مثل السواحلية في معظم بلدان شرق افريقيا والزولو في جنوب افريقيا ويارووبا في نيجيريا ووُلف في افريقيا الغربية عموماً . ومنها الاوربية كالفرنسية والانجليزية والبرتغالية .

يعّد هذا التشتت اللغـوي في القارة السـوداء من المشكلات التي يعاني منها الشعر الافريقي الزنجي ، ذلك لان اللغة اداة مهمة في الشعر ولايمكن فصله عن اللغة . وهذا لايعني ان الذين لا لغة لهم بشكل موحد لايمكن ان يكونوا شعراء ؟ . في هذا الصدد يقول الشاعر البنيني ،

بولان جواشيم : « لقد كانت الموسيقى هي الشعر ، اعطاء الكلام الداخلي بعداً موسيقياً. الرقص كان الشعر ايضاً، فالجسد يصرخ، انه في جنون مستمر، هذا هو الشعر»(٢٩).

لقد ظل الشعر الافريقي غير معروف حتى لدى قطاعات كبيرة من اوساط جماهير افريقيا السوداء نفسها ويعود السبب في ذلك الى ان كل لغة تنفرد بتعبير عن الشعر لناطقيها دون غيرهم ولكن يستثنى من يهتمون بالشعر الافريقي عموماً . ولم يكن الشاعر الافريقي معروفاً في السابق احياناً الا مَنْ جاوز حدود لغته الخاصة مثل الذين يكتبون باللغات الاجنبية كالفرنسية وامثالهم ليبولد سيدار سنغور ، ديوب .. الى اخر ذلك . اما دنيس اوزوايبي وغيره ممن يكتب بالانجليزية وكذلك الشعراء ، « اغستينو نيتو » وقبله الشاعر « سان طومي » فقد جاوزوا حدود لغتهم لكتاباتهم بالبرتغالية ، فهم الذين اصبحوا معروفين ايضاً . كذلك من الاسباب التي جعلت الشعر الافريقي غير معروف احياناً لانه لم يجد طريقاً للنشر الا في الصحف التي

سبق لنا الحديث عنها في معرض كلامنا على « التراث في الادب الافريقي » ، سواء كانت تصدر في الداخل او في خارج القارة وهي بالطبع حديثة النشأة .

اذن فيمَ يكتب الشاعر الافريقي الزنجي ؟ انه يكتب في كل لون من الوان الشعر الذي يكتب فيه غيره ، سواء كان في الطبيعة او علائق البشرية . لكن الموضوع الذي كان اكثر تأثيراً في نفس الافريقي واكثره سيطرةً على وجدانه هو الصدام بين افريقيا الطالعة واوربا التي كانت مليئة بالشعر . كذلك الزُنُوجة بوصفها المعبرة الحقيقية عن التراث الادبي في هذا الجزء من القارة السوداء ، هي الاخرى من اكثر المواضيع التي احتلت صدور هذا الشعر ، وبخاصة في غرب افريقيا والناطق بالفرنسية لان فرنسا وقتها لم تضع قيداً على الشباب المهاجرين الافارقة فيها .

اما تطور الشعر الافريقي ومنذ العقد الاول من هذا القرن ، فانه اصبح يواكب تطور الفكر الافريقي ، ولاسيما في ثلاثينيات هذا القرن حيث نشأت حركة الزنوجة .

ويلاحظ ان هناك ثلاث مراحل مر بها الشعر الافريقي في خط تطوره هذا . وهي :

اولاً مرحلة الزُنُوجة ، وتفهم على انها رفض التمثُل ومحاولة تأكيد الذات والبحث عن قوالب ثقافية جديدة لاستئصال التمثُل والوعي بالتراث الافريقي وبتراث العالم عموماً . والشعر في هذه المرحلة اكثر ثورية ويتميز بالعنف والتمرد . وثورية الشعر في هذه المرحلة واضحة في القصيدة التي كتبها الشاعر ديوب داود شاعر الثورة الافريقية :ـ

« اصغوا ايها الرفاق »

اصغوا يا رفاق العصور المناضلة

الى صراخ الزنجي المؤثر الذي يدوي من افريقيا

الى امريكتين

لقد قتلوا « مامبا » (٣٠)

مثلما قتلوا ابطال « مارتينزفيل » * السبعة ،

او بن « مدغشقر » * هنا في ضوء السجون الشاحب

لقد كان على محياه يا رفاق الايمان الحار القلب
بلا أسى
وكانت بسمته برغم العذاب
تحتفظ بالالوان الزاهية لباقة أمل .
حقاً ، لقد قتلوا « مامبا » بشعراته البيض
الذي صب لنا الحليب والنور مرات ومرات
اني احس بغمة فوق احلامي
مثلما احس برجفة الصورة الوديعة
وهأنا ضائع مرة اخرى
مثل بنت انتزع من صدر امه
لكن ، لا
لان مائة رجل يحطمون زنزاناتهم
تدوي هناك بصوت اعلى من صوت احزاني
والمهـر من الصبـح الذي يستيقـظ فيـه الوحش المفترس
ان دمي الذي احتجزوه طويلاً في منفى ،
ذلك الدم الذي املوا ان يوقعوه في فخ من كلمات ،

يكتشف من جديد الحرارة التي تقشع الضباب .
اصغوا يارفاق العصور المناضلة
الى صراخ الزنجي المؤثر الذي يدوي من افريقيا الى امريكتين
انه علامة الفجر ،
علامة الاخوة التي تُقبل لتغذى احلام البشر [٣١] .

ثانياً ـ مرحلة اتساع نطاق الشعور بالجنس الزنجي فهي مرحلة التميز والشعر فيها اكثر تمجيداً للون الاسود وكل ما يتصل بالسواد . يقول الشاعر اغستينو نيتو في قصيدة له بعنوان : « صوت الدم »

ينبض في داخلي
صوت الطبول
وايقاعات موسيقى (البلووز)
تخامرها الكآبة
آه .. ايها الاسود الممزق في هارلم
آه .. ايها الراقص في شيكاغو

آه .. ايها الخادم الاسود في « الجنوب »
ايها السود في أقاصي الارض وادانيها
انضم اليكم بصوت الواهي
واتي الى اركانكم
بايقاعات موسيقاي ، في اتضاع
انني اصبحكم
حيث تلتقي افريقيا بعضها بالبعض
على الطريق
انني احس بكم جميعاً
ايها السود في جميع اركان الارض
واحيا آلامكم
اي اخوتي ...

وكانت القصائد في هذه المرحلة تحدد الخطوط القومية تحديداً ادق ، وتصور الحقائق الاجتماعية تصوراً اعمق . يقول الشاعر « م . ف . انانق » من غانا في قصيدة له بعنوان :

« افريقيا المظلمة »

احب الايام الخالية
ايام الطهر الفاضل والنقاء
الايام العظيمة
عندما كان الرجال في بداوتهم
والرجال في ضراوتهم
تربطهم آصرة الزمالة الوثيقة
احب افريقيا ، على حقيقتها
افريقيا الملكة ، على فطرتها
لؤلؤة ثمينة من لآلىء الماضي ... الى اخر القصيدة

ففي خلال هذه المرحلة لقد جاء النداء الى الاخاء في الكفاح على اثر انتشار وعي جديد اكثر تجسيداً وتحديداً للوضع الاستعماري وقد صور لنا هذا الوضع « نوبيمياوي صوصة » ، الشاعر الموزمبيقي وجاء في مطلع قصيدته « النداء » :

من ذا الذي خنق الصوت الذي ادركه الملل والاعباء

صوت اختي في الغابة السجراء ؟
فجأة ضاعت دعوتها الى العمل وسط عباب الايام والليالي
لم تعد دعوتها تصلني كل صباح
منهوكة القوى من طول الطريق
وهي تطوي الكيلومترات بعد الكيلومترات ... وفي مكان اخر قال « صوصة » :
يا افريقية ، يا ارض الوطن ، خبريني
كيف امست اختي في الغابة
اختي التي لم تعد تهبط الى المدينة
مع اطفالها الابدية
« واحد على ظهرها وآخر في بطنها »
ومع ذلك صوتها الابدي وهي تنادي على ما تحمله من تجارة
ياأفريقية، ياأرض الوطن
على الاقل لاتتخلى عن اختي فهي مثال البطل
وخلدها بين اثار المجد التي تحملينها بين يديك (٣٢)

وضمن هذا الاطار ، يقول الشاعر ، القس جان متيلا من الكامرون في قصيدة له « النداء »
في مقطع القصيدة تقرأ :

انـي لااخشاك انك زوجي الموعود
كما ان شمس الضحى على ميعاد مع السماء
وفي انتظارك افتح شطر عيني في غوار نفسي
فأن كل سروري ان يحتويك ضميري
تعال فاني لااعرف ذلك الترجيع المنغوم
لوقع خطاك حيث اسمعها في غيبوبتي
تعال فاني مدخرة لك كل سكينتي
في الكفن المحكم الحزين المجهز
تعال ! الرؤية واضحة هنا لان كل صوت مسموع
وهذا هو الباب المفتوح وكذلك النافذة
وعلى عتبتي توقف الزمن
ايها الامير كل ماهنا جديد قشيب ، فما يمنعك من الحضور .

ثالثاً والاخيرة هي تلك المرحلة التي اخذ الشعر الافريقي الزنجي ينير امامها افاقاً جديدة ، حيث اصبح هدف الفنان المبدع ان يوحد من حيث المضمون ومن حيث الشكل بين ذاته وكل ما هو شعبي أصيل .

إن كل بلد افريقي من مجتمع افريقيا السوداء الذي يكتب اهله شعراً ، لم يخرج من هذه المراحل الثلاث ذلك بحكم الجغرافيا الخاصة ، كذلك بحكم الظرف التاريخي الذي مر بهم من تسلط الاستعمار المباشر الى حكمه غير المباشر . وهذا الاتجاه يتمثل في ان القصيدة الافريقية اصبحت تكشف عن وحدة معينة قائمة بذاتها من حيث المواضيع التي يتناولها ، فقد اصبحت العبارة الشعرية ، متطابقة مع المعادلة الشخصية للشاعر وهو يواجه مشاكل عصره .

بعد هذا الموجز عن الشعر الافريقي نأتي بالنماذج الشعرية لشعراء افريقيا االسوداء . والادباء الافريقيين لهم مجموعات شعرية كثيرة والحديث عنهم لاتكفيه سطور

هذه الدراسة . لكننا نشير الى بعضهم فقط بغية عرض بعض النماذج من الشعر الافريقي الزنجي . ولقد اتينا بنبذة عن حياة بعضهم . اما البعض الاخر فقد كان بودنا ان نعطيهم حقهم ، لكننا لم نتمكن من الحصول على المعلومات الكافية عن حياتهم . لذلك انحصر عملنا بمختاراتهم الشعرية فحسب فهلموا اذن معاً الى هذه المختارات :ـ

الزنجية :

شعر سان طومي *

النص :

ايتها الزنجية الجميلة ، من الفحم الرقيق الدقيق
ينبثق منه الماس
يا ابنة الشمس ، ايتها النجمة المحترقة
بنار الاباء ..

* * *

القي بوجهك الساذج الجميل

هنا على صدري
نامي ، ايتها الفتاة الشابة ، ايتها اليمامة المهجورة
فانا اسهر عليك

* * *

لاتبكي بعد يا طفلتي ، جففي دموعك
وابتسمي لي .
واتركيني انظر الى تلك اللآلىء البراقة:
اسنانك العاجية ..

* * *

وتحت صدرك الالهي يختبىء
نور لاتعرفين كنهه
يتشرب به جلدك الغامق
وكثيراً ما سحرني .

* * *

انني احب ان ارى لونك الرقيق الاسود
الرائق الحريري

اذ يبدو لي يا حمامتي ، انك احترقت
في نيران الحب

* * *

وانك كنت قديماً بلورة الثلج ، واحببت زنبقة ،
زهرة شاحبة من ازهار الوادي
وهربت منك الزنبقة ، واحترقت بنيران حب حزين
في صدرك العذري

* * *

لاتبكي ابداً ، ياطفلتي التي احبها
يافحمتي الرقيقة ،
فالحب كالزهرة ، طالما يعيش
في الحقول او الحدائق ..

* * *

انت حبي العارم ، وهذا يكفي
لسعادتك ،
احبي زهرة البنفسج ، طالما يعبدك البنفسج
وأنسي زهرة الزنبق ...[٣٥]

« ارتداد الامواج »

شعر أوزفالدو كنترا *

النص :

لتأت كل الاصوات ، ولتجمع أصداء كل الصيحات

الاشاعات

وليجمع الصمت الحاني ، والسكوت عن اكتفاء

ولتأت كل الاشياء التي لايمكنني ان اراها..

ولتطف كلها على مجتمع الرجال ..

ولتأت الينا جميع شذرات الرمال والصخور والطين

ولتذهب كل السفن في المحيطات

ولتأت وعود من لايخافون ابداً مصير كلماتهم ،

ولتتجمع كل الاجابات الاسيرة لدى اولئك

الذين يملكون شرطة خاصة .

وليعد الجميع الى نقطة البداية ..

لتأت اشعار الشعراء

وليمتزجوا بأنفاس العالم ،

وليأت الجميع حول حلقات الصيادين
وليصبح جميع الرجال خالقين مبدعين ..
وليأت كل ما اشعر به بحق
خارج زجاج شباكي المنطفىء
وسأنتظر بولاء ، ذلك الكنز
الذي سترسله الينا موجة بحرية ..
ان الارض التي تسحق اقدامي من العذاب
هي ايماني العميق
وسأنير بمشعلي متعدد الالوان
طريق العائدين
وسيجدونني في كل خطوط النار (٣٦)

« **الى نيويورك** » :

شعر ليبولد سيدار سنغور *

النص :

نيويورك .. رأيتك بداهة فاضطربت لهذا الجمال
صرت في فتياتك ، ارنو لسيقانك الطويلة الذهبية ،

وراعتني عيونك المعدنية بادىء الامر وخجلت
ثم انعمت عيني في بسمتك ، انها جليد ففهمت ..
ألم ممض في الصدر في الاعماق يخرق كل شارع ،
والعيون تظللها الكفوف تراعي الناطحات
بعيدة خفت وراءها شمس السماء
وضوؤك كله فوسفور ، وخلالها ابراج البيوت
حمراء كالغيظ ، كالكبد المثار ..
رؤوسها طعنت كبد السماء وبجنبها اخواتها
تعلو وتسحر بالزوابع وا العواصف
لاتهاب ، عضلاتها حديد ..
واهابها استوى ثم ذبل ، تخترقه فارقة ..
راح اسبوع واسبوع يليه ، فيها طرفت مانهاتن
وانقضى ثالث من بعد ..
اجتوتني بعدها رجفة
كانقضاض النمر شد الجوع اعصابه
اسبوعان ، لانهار ، لا حقول ، لا شجر

على النقيض ، تساقط الطيور
موتى فجأة على السطوح المرمد
« وتموت على رماد الاسطح العالية المسطحة »
لوث الجو الدخان ، سممه ..
اسبوعان ، ما رأيت طفلاً ، تزين وجهه ابتسامة
يده في يدي يرنو اليَّ في شقاوة ، ارنو اليه في حنان ..
ما رأيت ثدي أم ، كل الذي اراه سيقان من النايلن
الاثراء لاتعرف هنا ولا السيقان ، ولاتفوح ، ما سمعت منذ قدمت لفظة حية عطوفة .
الشفاه ها هنا عدم ،
والقلوب تشترى نقداً وعدا في الفبارك والمصانع ..
لا كتاب يحمل الحكمة من صدر لآخر كلها ذكية
ليالي الارق ، يا ليالي مانهاتن ..
تتلرن والضوء يلهب ظهرك كالسياط ،
ونخير السير حولنا ، يسوق الليل سواقا ، لاسلام
كلها اصوات جوفاء ، لا معنىً لها ، هباء ..

والمياه السود عكرى في الانابيب خفية
تحمل الحب عظاما وجلودا وقذاره ،
اول الليل نظيفاً كان اذ صنعوه ،
كله صحة ، وفي الصباح
ما اشبه الامواه بالانهار
فاضت بالجثث ، جثث الصغار ،
اولاد الخنا ..
نيويورك اسمعي ،
اسمعي ، اقل لك يا نيويورك
دعي الدم الاسود ينساب انسياباً في عروقك ،
دعيه ينصب انصباباً في دمك ، في كل جارحة ،
صدئت جوارحك ، اصبحت حديداً .. دمنا
ذيك الحياة ..
الدم الاسود ان خليته يعطى جسودك
حنية الارداف ، اطري من زواحف ..
استعيدوا الان آماداً مضت

واعيدوا معها العيش الجميع
بين اسد الغاب ، ابقار القرى ، قش الحقول ،
كلها كانت كذلك ..
كلنا جميعاً واحد ، لاترى شقاً ولا فصما بها..
كانت الاعمال شطراً من ذكاء العاملين ،
كل فكر يعمل ، كل اذن بفؤاد ، ارتباط الحس بالشارة
هذه انهارك تهمس همساً
عطر تمساحها ، وخراف البحر اعينها كامواه السراب
صفارة الانذار من ابدعها ؟ لا اكسروها..
افتحوا القلب لابريل
انظروا قوس قزح ، انظروا الوانه ، ازهاره
افتحوا اذانهم ، فوق آذان الجميع ،
تسمعوا صوت الالهه ،
خلق الارض وابعاد السماء من ضحكة

في ساكسفون ..
ستة ايام راح
يومه السابع يغفو وينام
نومة عظمى ، كنوم الزنوج ..
يكفيكم ابريل ..

« النسور »

شعر داود ديوب *

في تلك الايام
حينما ركلتنا الحضارة في وجهنا
حينما صفع الماء المقدس جباهنا المذمومة
شيدت النسور في ظل مخالبها
انصاب التشبه والتعلم المضرجة دماً ،
في تلك الايام
كان ثمة ضحك مؤلم على جحيم الطرق المعدنية
والايقاع الرتيب للصلاة الربانية
اغرق العواء على المزارع

ما أمَرّ ذكريات القبل المأخوذة اغتصاباً ،
والوعود التي اخلفت تحت فوهة بندقية ،
والاجانب الذين لم يبد انهم بشر
الذين عرفوا كل الكتب ولكنهم حصلوا الحب .
لكن نحن الذين تخصب ايديهم رحم الارض
ان جدد ايدينا عميقة كالثورة
رغماً عن اغنيات جبرونك
رغماً عن القرى المهجورة في افريقيا الممزقة
عاش فينا الامل كما في قلعة
ومن مناجم سوازيلاند الى مصانع اوربا
سيولد الربيع ثانيةً تحت خطانا المتوهجة[٣٤]

« **وضحكت ثم ضحكت** »

شعر : جبريل اوكارا (نيجيريا)
اغنياتي لديك سيارة ..
خنقتها سعلة ..
فهي تدور ،

وضحكت ثم ضحكت ..
وسيري فوق ارضي قبل ميلادي
كان لايسمو لادراكك ..
وهو ادراك محيط ..
ان مسيري غير انساني ..
وضحكت ثم ضحكت ..
من اغاني ضحكت ..
من مساري قد ضحكت
فرقصت مع دق الطبول
رقصاتي وهي سحرية ..
وسرت في الليل انغامي اليك
وهي ترجوك ، تعال ..
اصبع في اذنيك ..
وعزوف ، ما كفاك ،
وحتى تغفو هازلا
وضحكت ثم ضحكت ثم ضحكت ..

لكن ضحكك كان ثلجا ، فتجمد ،
في النهاية ..
كانت احشاؤك هكذا ،
فانظر اليها تتجمد ،
مثل ضحكاتك ..
واتي صوتك من بعد ، تجمد ،
ثم اذناك ، وعيناك ،
لم يعد في الطوق ان تضحك ،
وتدلى خشباً منك اللسان ..
جاء دوري ، هأنذا اضحك منك
ضحكاتي ضحكات صاخبات دافقات
حيوية ، قهقهات عاليات
ما رأت ثلجا يجمدها ..
لا ولا اعرف آلة
خنقتها سعلة
فهي تدور ،
لا تسير ..

ضحكي نار العيون
قبس الارض ، لهب من سماء
نار بحر ازرق ، نار نهر
يمنح الكل الحياة ..
من انهري العذاب ، اشجاري الخضر ،
من وحوش الغاب ، اسماك المجاري
ضحكت منها جميعاً ..
وهي ان جئت قريباً ، قد تعين ،
قد تذيب الثلج فيك
فهي حرى ، وهي جمر ..
قد تحيل الصوت صوتا وتعين الاذنين ،
كلها اسرى ثلوجك ..
اقرب تفتح العينين منك
والشفتين واللسان ..
وتواضعت اخيراً ، كان اولى من زمان ،
وهمست ترجو ، همسة العانس الودود ،

« لِمَ هذا ؟ » قد سألت
فاجبناك نقول :
انت لم تنظر اخي ..
لو فعلت يوم رجوناك رأيت :
اننا جذوة من ارضنا ،
قطعة لاتنفصم ..
تشدنا اليها هذه الاقدام
عارية ..
لا حجاب بيننا
لا خفاء [٣٨]

لاعبا الناي

من شعر : جان جوزيف رابرفلر من ملاقاشي
نايك
اقتطعته من ظنبوب عجل ذي خوار
وصقلته صقلاً على رابية جدباء
ساطعة الشمس حوافيها

نايه
صيغ من قصب يرجف في النسيم
قد القدود فيها قرب ماء جارية
سكرت يالاحلام القمر ..
تلعبان ، كل نايه ، معاً ، في عمق اعماق السماء
وكأنما امسكتما بيديكما القارب الدائري
انكفأ عند شطآن السماء
وجهدتما ولعبتما تسعيان
تنقذانه من يومه
مصيره :
لكن ،
أتسمع النواح في اغاني الآلهة
أتسمع آلهة الرياح ، آلهة الارض
ربة الشجر ؟
أتسمع الغناء والشجن
آلهة الرمال ؟
نايك

فيه من اجلها اثر
تأتيك منه
انغام عليها ثورته ،
تجري الى ارض الخراب
وتعود جارية ،
مفلوحة من الظمأ ، ضامرة من جوع ..
الى اين ؟ لجذع نخلة ؟
لا ظل فيها ، لاثمر ، لا ورق .؟
نايك
لدنة كأصلها القصب
تنحني آدمها ثقل عصفور عبر ..
ما نفس الربش عليها ولد
ما عبث .. لكنها غريبة
بعيدة عن كنهها
ترعى الاطلال ، تبحث عن عزاء ،
لدى المياه الجارية

نايك ياخذني ونايه .
كل على اصوله ينتحب
ويحملان الندب في انغامكم
حزنى مريرة ..[٢٩] .

نفي الذات

للشاعر : تسيجاي جاير مدهين (اثيوبيا)
ابحث عن ملجأ
في صدر عالم عليل
يظل الى الابد
فريسة لنواحي قصورنا
وقد ركزتها في بؤرة الفصول الضيقة
للنهايات الخاصة
تمتهن القضايا الاكبر شأنا
التي مات ورثة الماضي في سبيلها ،
لكي تظل متوفرة
تدفع المبادىء

في سبيل آلهة من صفيح
على حساب الآمال المنكوبة
المرتعبة من الموت الكلي
على خلاف الايام القديمة الصعبة
حينما كان الكثيرون ذوي عقيدة
اما الآن ، فيؤثر المرء ان يتحرك نصف ميت
بين ظلال حقبة مقضى عليها .

ـ ٢ ـ

يقولون :
حيث يزرع
نمو الاعشاب
لتقضي على النباتات
« مخافة ان تنتج فانضا »
على المرء ان يتعلم
كيف يصادق ، لا من اجل الصداقة
انما ليستأصل

على غير علم من الصديق ،
يقولون :
حيث تنطلق الادخنة الخانقة
لتحجب ضياء الشمس في السماء
(مخافة ان يستضيء اهل الارض اكثر مما ينبغي)
على المرء ان يتعلم
كيف يجب ان يزرع الارض
لا ان يستمتع بها
وانما ان يوجد ، في قلب الضغينة .
يقولون :
حيث تربى
سلالة من جرذان
لتعض الاجساد الصحيحة
(كيما تبقى مستأنسة وعالة)
على المرء ان يتعلم
كيف تتكون له أغلفة جلدية صلبة

لا ان يكون آمناً
وانما ان يحمي ذاته من الحياة
يقولون :
حيث ينتشر
ظل الخوف
كيما يحجب ازهار الربيع
(مخافة ان تفر من انقشاع اوهام الطقس)
على المرء ان يتعلم كيف يبدو راضياً
بالطبقات العارية
لهذه الاسنان البيضاء اللامعة
دون ان يرتضى القلب ذلك .
ثم نكتشف ، واأسفاه ، انه الخوف
بفوهته التي تخنق الخجل
فكأنك ، فجأة ، لاتولد .
لاتخرج الى العالم
لا يحمل بك

انه يبعث فساداً في الذهن
ويقرض الروح
ويمتص الامل
انه يثب
من اركان عثار الحظ المظلمة
ويظلم ضوء النهار
ويرضى في اعماق اعماقك
ليعتصر علة وجودك
انه يمتد ليلتهم ،
كمرض غريب ، في البرية
ويجري عميقاً
كالايمان بعقيدة الخطيئة الموروثة .
ليس ثمة عار كالقنوط
ولا خطيئة كالخوف
ولا موت كنفي الذات [٤٠]. « ترجمة ادوار الخراط »

اولاً : أشواق :

شعر اجوستينو نيتو Agostenho Neto

النص

اغنيتي بما فيها من برجاء الالم
واحزاني
على الكونغو ، وفي جيورجيا
وعلى نهر الامازون
تشد قواها ، وتتأبد عراها
احلامي بالرقصات السود
في ليالي البدر المكتمل
تستعصم اسبابها ، تتوثق عراها
ذراعاي تستحصد اركانهما
عيناي تتأكد منهما الاواصر
وصرخاتي تنعقد عراها
الظهور التي جلدتها السياط
والقلوب المهجورة

والروح المستمسكة بالايمان
والشكوك ، تبرم عراها .
اغنياتي قوية صلبة الاركان
عن احلامي
عن عيني
عن صرخاتي
عن عالمي المعزول
في زمن كف عن الجريان
ودعائم العقل تقوى
وتستحكم اوتاد القيثارة
وموسيقى الكيسانج
والماريمبا
والساكسفون
وايقاعات الطقوس المعربدة
تتوطد عراها
حياتي تتمكن عراها
قرباناً وهبة للحياة

ورغباتي تستحق اسبابها
واحلامي تقوى وتثبت عراها
وصرخاتي
وذراعي
حتى تدعم العزم مني
في الاكواخ
في البيوت
في ضواحي المدن
فيما وراء البيوت البورجوازية
في الاركان المعتمة
حيث غمغمات الزنوج
تزداد قوتها وتترابط عراها
ان رغباتي
تصبح قوة مكينة الاركان
حتى ترفع ، على كتفيها
كل وجدان يائس يتهاوى .

« ترجمة ادوارد الخراط »

ثانياً : صوت الدم

ينبض في داخلي
صوت الطبول
وايقاعات موسيقى (البلووز)
تخامرها الكآبة
آه .. ايها الاسود الممزق في هارلم
آه .. ايها الراقص في شيكاغو
آه .. ايها الخادم الاسود في (الجنوب)
ايها السود في اقاصي الارض وادانيها
انني انضم اليكم بصوتي الواهي
وآتي الى اركانكم
بايقاعات موسيقاي ، في اتضاع .
انني اصحبكم
حيث تلتقي افريقيا بعضها بالبعض
على الطريق
انني احس بكم جميعاً

أيها السود في جميع اركان الارض
واحيا آلامكم
اي اخوتي .

« ترجمة ادوارد الخراط »

ثالثاً : **النار والايقاع**

صلصلة الاصفاد على الطريق
واغاريد الطيور
تحت خضرة الغابات الندية المطلوبة
ونضارة سيمفونية الاصوات العذبة
في اشجار جوز الهند
النار ..
النار في الاعشاب
والنار في الصفائح المعدنية الملتهبة
في الاكواخ
تغص بالناس ، تغص بالناس
تغص بالناس

هاربين من كل مكان
الطرق الفسيحة تفضي الى افاق مسدودة
لكنها طرق فسيحة
طرق مفتوحة
على رغم من كل استحالة
بالأذرع
وطبول التام ـ تام
وايقاع الموسيقى
ايقاع النار
ايقاع اللون
ايقاع الصوت
ايقاع الحركة
ايقاع الاصفاد الدامية
والاغلال ، في الاقدام الحافية
ايقاع الاظافر المنزوعة
ولكنه الايقاع

ايقاع

اصوات افريقيا التي تمضها الآلام .

« ترجمة ادوارد »

رابعاً : **الوداع ساعة الفراق**

انهن يا امي

(انهن الامهات السود اللواتي ارتحل اولادهن)

لقد علمتيني الانتظار والأمل

كما دأبت على ذلك في ساعات الكوارث والخطوب

ولكنني في صميم نفسي

اجد الحياة قد قتلت هذا الامل الملغز ، الغامض السر

لن انتظر بعد اليوم

بل على الاخرين ان ينتظروني

انما نحن الامل .

اولادك الراحلون يقصدون الايمان الذي هو غذاء الحياة

نحن العرايا ابناء الغابة

صبية صغار لا عهد لهم بأي مدرسة

يلعبون بالكرة المصنوعة من بقايا الخرق الممزقة
في السهول المنبسطة تحت حر الظهيرة المحرقة
نحن مأجورون لحرق حياتنا في مزارع البن
نحن السود الجهلة
الذين يجب عليهم احترام البيض وسطوتهم
والخوف من الاغنياء ورهبتهم
نحن ابناؤك في الاحياء البلدية
التي لن تصل اليها الكهرباء
نحن الرجال الذين يموتون وهم سكارى
وقد اسلموهم الى دقات طبل الموت الايقاعية
نحن ابناؤك
الجياع
العطاش
الذين يستحون ان ينادوك يا أمي
الذين يخافون عبور الشوارع
الذين يخافون بني الانسان

انهم نحن

الامل في استرداد الحياة [٤٢]

« ترجمة : عبد الرحمن صدقي »

ارفع صوتك .. ارفع اليه صوتك

للشاعر هاتيجز اكوت ـ اوجيندو «تنزانيا»

ارفع صوتك لله
لأني عند الغداء وجدت اصدقائي يأكلون الاقذار
يقلبون صناديق القمامة لكل منهم صندوق
يمضغون قشر البطاطس والعفن في علب المربى
ارفع صوتك لله
بانني بكيت في اعماق قلبي لانني احببت اولئك المعدمين
في عفنهم ، واقذارهم ، وقمامتهم
في عارهم ومصاعب حياتهم وحيوانيتهم ، احببتهم حباً عظيماً

ارفع صوتك لله
بأنني رأيت الكاهن يعظهم بالبركة
لكن الكاهن لم يكن ، بعد ، منتمياً اليهم
كان هؤلاء معدمين ينتمون الى جحيم لن يدخله ابداً
لم يكونوا له ، بعد ، اصدقاء
« طوبى للفقراء » : كان يقرؤها دون اقتناع
لكن هؤلاء الناس كانوا قد فقدوا الأمل ، كل امل في سماء المجد
ارفع صوتك لله
بان الكاهن قد مضى الى شارع (ستانلي) الجديد
تحت الاغصان التي تؤمن وتدعو ، في شجرة الشوك
حيث السلام والراحة والسماء تتجاوز خطيئة الحب الانساني وعذابه
ارفع اليه صوتك
بانني احسست مضض العذاب الانساني واستبد بي الشوق الى حضوره
ارفع اليه صوتك بانني بحثت عنه فلم اجده

صرخت اليه فلم يجبني
ارفع اليه صوتك بانني صليت له ، ونزفت له دمي ،
لكنه لم يأت الى شارع « ديجو »
ارفع لله صوتك .. ارفع اليه صوتك بأن يلقى بعيداً
بنعمته
وان يأتي الى هذا الجحيم
الى المرضى ، الى المعذبين ، الى الصيحة المنبوذة
تناديه بأن يأتي
ارفع اليه صوتك بان الفقراء والمعذبين يتوقون الى
ظهوره
الحبيب بينهم
ارفع اليه صوتك بان اليتيم والمتخلف والمجنون
والممسوس في جوع اليه
ارفع لله صوتك .. ارفع اليه صوتك
بانه يتلبث طويلاً في الكاتدرائية والكنائس الرائعة
الحديثة المعمار

ارفع اليه صوتك بانه يتلبث طويلاً في الهياكل المقدسة التي لاخطيئة فيها
في اماكن عبادتنا
ليس هناك احد .. ياالهي .. الا الكاهن القديس
ارفع لله صوتك بان ياتي الى الاحياء الرثة الفقيرة المزدحمة
ارفع اليه صوتك
صوتك بان ياتي سريعاً [٤٣]

(ترجمة دار الآداب ـ بيروت)

سلسلة الادب الافريقي الاسيوي [١]

للشاعر جان بريبر (السنغال)

الى النيل

في فيضك الاخضر الهائل كأنه المعجزات
تختر الطمى فهو البازلت والحجر الجرانيت

تقوم منه اعمال سامقة شماء
انت الذكر والانثى ، منك تولدت افروديت
رحمك العظيم مفتوح للاخصاب
والولادة ،
اعراس الآلهة والرجال في سمت الربيع
قد انبثق منها في دلتاك
شعب لايضع ارقام الحساب
الا لكي يضفي ابعاد الحلم على الاشياء ،
ويطبع على أهون حبة من حبات الرمال
ايقاع موسيقى الهذيان الكونية ،
ويحفظ للاعداد
قدس دلالتها ورموزها المزدهرة
بنوار شرائط الدانتلا وعقود الاقواس المقرنصة ،
انت اول من وضع المجاذيف في يدي اوقيانوس
ليذهب يروي للبرابرة مآثرك .
شققت كهوفك في اسوان .
موجك ينحت محاجر الصخور

ويضع بين النخيل ، والسنط ، والجميز ،
كتلا طهوراً ناصعة صقلتها يداك الناعمتان ،
تلبي نداءاً داخلياً للصعود الى السماء ،
تسهر على حراسة الحب وتتحدى المنية ،
وتوحد بين الذروة والقاعدة في خفاء
توحيداً لايمسك صلبه الا حمى الايمان .
خوفو وخفرع ومتكاورع
اسماء تبتهج فيها مجدك
هذا الشعب الذي يصعد من امواجك ، في امواج
النمل الانساني الدؤوب الذي اتى من اثيوبيا
بالرخام
لكي يدفن الموتى ،
ويحرر الروح من نفث عطن الكرب الممض
اذ يضع العلامات البيضاء
على الطريق الى السماء ، والى الابدية ،
هذا الشعب لم يمت ما دمت انت حيا .

هذا الحشد الذي لا اسم له
جحافل مدفونة
في صحراء الرمال والنسيان
لاتلتف حولها شرائط الموتى ولا طيوب الحنوط ،
قد عادت اليك يا مياه النيل
يا ام الحكمة
يا حارسة اللهب
يا خالقة الآلهة والنحاتين بلا حصر ولا عدد ،
انت قالب ام لا تشوبه شائبة
انت مطايبة حنون بلا خشونة ولا جفوة ،
ثابتة ساكنة
متمددة على مهاد الارض
عندما تقتحمينها فذلك لكي تحملي اليها الخصوبة .
انت تغذين الجذور الصخرية التي تنبثق منها الاهرام
وتتبادلين معها الغذاء ، بلا نهاية ، من العصارة

البدائية
حتى تواصل الاهرام ، دون ان تنال منها الغصن
حوارها الالفي
موسوماً بجمال العقائد الغانية ،
مع الريح ، مع الرمال ، مع النجوم .
انت البحر والمركب معاً
والحياة والموت ،
ابو الهول ، المصاطب ، والاهرامات
لا خلود لها الا من نظرتك الخضراء
ولا عظمة لها حقاً ، الا راقدة في مياهك
وما من حركة انسانية يشوبها القصور
ترقى الى قامتك .
منذ ان رأيت مياهك تهضب وتنساب ،
تغسل السماء ومناكب الاحجار
احس على شفتي
ازدراء يسودني اكثر من اي وقت مضى

لأولئك الذين نهبوا ثروتك ،
واصابوا وجوه عمالقتك بالجراح
وبقروا بطون مومياءاتك ودنسوا معابدك
اولئك الذين تواجههم كل يوم ، في الرياح والرمال ،
بصمتك المعدني ونظرة ابي الهول التي لاتحدها حدود .[٤٤]

(ترجمة دار الآداب ـ بيروت)

افريقيا المظلمة

للشاعر م.ف. انانج (غانا)

احب الايام الخالية
ايام الطهر الفاضل والنقاء
الايام العظيمة
عندما كان الرجال في بداوتهم
الرجال في ضراوتهم
تربطهم آصرة الزمالة الوثيقة .

احب افريقيا ، على حقيقتها
افريقيا الملكة ، على فطرتها
لؤلؤة ثمينة من لآلىء الماضي .
لم تكن فتنتها اسمى الفتن
في الايام الخوالي
ولكن ردوا الى افريقيا
بافضل واسوأ ما فيها
ودعوني حراً اخطط من جديد
لافريقيا العظيمة ، افريقيا الله
افريقيا المثقلة بسحر الايام الخوالي
وردوا اليَّ ، من بعيد
قوانين الايام السحيقة
بما فيها من خصب وتثير
ردها اليَّ
ومن افريقيا تلك الضائعة من زمن بعيد
سوف تنبثق افريقيا العالم الجديد

كالعنقاء
« عندما كانت الرؤيا حسيرة والمعرفة نزرة يسيرة »
كانوا يسمونني : افريقيا « المظلمة »
افريقيا المظلمة ؟
انا التي رفعت صروح الاهرام الساحقة
وامسكت بمصائر القياصرة الغزاة
في قبضتي المغرية
افريقيا المظلمة ؟
انا التي ربيت بين احضاني
طفل الحضارة ان تتعثر به الخطأ
على شواطىء النيل الهائمة
النيل واهب الحياة ؟
انا التي منحت
شعوب الغرب المتلاطمة
تلك الهبة الاغريقية ؟

ان وميض الصلب والحديد اذ يعشي الابصار
قد يحجب ، احياناً ، قيماً غير معدنية
وعندما اغفلت القسي والسهام
بنضارتها الربيعية
ولِمَ اول الصلب والحديد كبير اهتمام
قالوا عني ، في العالم بأسره ، افريقيا « المظلمة »
ولكن هناك ما هو اعز من الصلب والحديد
هناك هذا الفن الهادىء الساجي
فن التفكير بين الناس جميعاً ، معاً
فن الحياة بين الناس جميعاً ، معاً
انني لاعرف عالما
عالماً وطأته الاقدام
عالماً مقسوماً مجزأ مرتهنا
خلال قرون طوال من الجشع المنهوم
وما زال ...
انه افريقيا ..

تأسرني اليها بقدر ما تحكم حولي الاستار
تلك افريقيا .. [٤٥]

« ترجمة ماهر شفيق فريد »

النداء

للشاعر القس جان متيلا (الكامرون)

اني لااخشاك ان قلبي مطمئن
وساذهب الى لقاك ، ذات ليلة ، في الاعالي
في قمة شوقي ، من ناحية
جدار النهار نهار البشر تنعكس عليه ظلال
القمر
اني لا اخشاك انك زوجي الموعود
كما ان شمس الضحى على ميعاد مع السماء
وفي انتظارك افتح شطر عيني في اغوار نفسي
فان كل سروري ان يحتويك ضميري

عالماً يتيقظ الآن
وينهض ويفيق
من سبات دهر سحيق
نضراً بالقوة والفتوة
التي تعقب الراحة والهجود
انه افريقيا
انني لاحب عالما
عالما نفيسا لايقدر بثمن
وطن النغمات التي تراود القلب
وطن الطبول التي تصطفق بصدى عميق
هذا الوطن العذب الحبيب
انه افريقيا ..
انني لاموت في سبيل هذا العالم
العالم الباهر العجيب
فما من ارض غيرها
في الشرق او الغرب على السواء

تعال فاني لاعرف ذلك الترجيع المنغوم
لوقع خطاك حين اسمعها في غيبوبتي
تعال فاني مدخرة لك كل سكينتي
في الكفن المحكم الحزين المجهز
تعال ! الرؤية واضحة هنا لان كل صوت مسموع
وهذا هو الباب مفتوح وكذلك النافذة
وعلى عتبتي توقف الزمن
ايها الامير كل ما هنا جديد قشيب ، فما يمنعك من الحضور
ما يعنيك ان اكون جميلة واكون فاضلة
ما يعنيك ان كنت باختيارك جديرة
حسبك اني ذلك الكاهن الواهب نفسه
حسبك ياحبيب القلب اني لك
ألست لي ذلك الطريق الطويل الذي يسلكه قلبي المشوق ؟

ألست لي ذلك الطائر اللطيف يرف في الافق
البعيد ؟
ألست لي البلد المجهول الكثير المطال في
الواعيد
الذي جعلني في امسية حلوة رائعة انتحب
لحاجتي اليك
انك تستطيع الحضور اني مؤمنة بمعجزتك
الست منذ اليوم الاول من نصيبي وقسمتي
آه اني انتظرك انتظار المؤمن تحقيق ما نطق
به هاتف الغيب
انت انت اني احمل في نفسي في اعماق نفسي
كلها صورتك وحدك
يا اميري حين تأتي من روابي التي يلفها
الضباب
ثابت الخطوة كمن اجمع امره على ان يهب
نفسه بغير اوبة

عندما ستفيض ينابيع الشباب كالسيل زاخر
العباب
يـا اميري حـين تأتي فقـد اتيت لتبقى ابد
الدهر
يا اميري ، حين تأتي سيكون البر كله امان
وستنهار اشجار البساتين المثمرة تحت وطأة
اسراب النحل المتزاحمة

يا اميري حين تأتي ستكـون ثمار المـانجو
ناضجة
يا اخوتي هيا واجدات مع ترانيمكن الخافتة
اوسع سلال الفاكهة
يا اميري حين تأتي سيجد جسدي روحه
وسأتعلم خفة الفراشات ومرحهن
وسأعرف لماذا يحيى النبات المتعلق العارش
عـلى الدعـام القـائـم في اخـدود الارض

المختضب اللافح
يا اميري حين تاتي سيكون قلبي الجرة
التي انفرج فمها لطوفان العسل
ان مجـرد تفكيري في انـك آت يتـرك امـلي
المجنون في حال توهان وهذيان
آه يا رسول الحب الذي يحمل السماء اليَّ
يـا اميري حـين تاتي سيكـون الخلق كلهم
ابراراً صالحين
وفي ضيـاء الصبح ستكـون النسـاء كلهن
جميلات
وستكون نظرة الشيخ الناقم على كل شيئ كلها
غفران
والطفـل سيصفق باليـدين طربا وابتهـاجا
لرؤية الهلال الجديد

يا اميري حين تاتي ستتصدع المسالك وتنهار
وتنسحق معالمها حتى لايبقى لها اثر
واعرف عندها في ظل النخيل راحتي
وما دمت ستكون هناك فسوف تنتهي غربتي[٤٦]

« ترجمة عبد الرحمن صدقي »

نداء

للشاعر نوبيمبادي صوصة(موزامبيق)

من ذا الذي خنق الصوت الذي ادركه الملل والاعياء
صوت اختي في الغابة الشجراء ؟
فجأة ضاعت دعوتها الى العمل وسط عباب الايام
والليالي
لم تعد دعوتها تصلني كل صباح
منهوكة القوى من طول الطريق
وهي تطوي الكيلومترات بعد الكيلومترات

صائحة صيحتها الخالدة : ماكالا !

كلا لم تعد تصلني مبتلة برذاذ المطر

محملة بالاولاد وبالصبر والتوكل على الله

ولد على ظهرها ، وآخر في بطنها

دائماً ، ودائماً ، ودائماً

بوجهها الذي اختصر حتى اقتصر على نظرتها السياحة

نظرة لايمكن ان اتذكرها

دون ان يقشعر جلدي ودمي ، ويضطرب كياني

وتحدثني نفسي بما هنا من مكتشفات ، ومواضع للتآلف وتجاوب بيننا ..

ولكن من ذا الذي حرم على هذه النظرة النجلاء الواسعة

ان تمتنع عن اشباع جوعي الى الصداقة

ذلك الجـوع الذي تفلح مـائـدتي الصغيـرة في
اشـبـاعـه ؟

يا امي ، من ـ اذن ـ يكون هذا الذي ، اطلق على النار
على الصوت البطولي الجبار
صوت اختي في الغابة الشجراء ؟
اي سوط مجهول شديد القسوة
قد انهال عليها يسوطها حتى الموت ؟
ان « الهيقيا » قد ازهرت في حديقتي
ولكن ازهارها البنفسجية نذير بالسوء
بعطرها القوي الفاغم البربري .
وهذه الملاءة اللينة التي تبسطها الشمس
على الحصيرة الخفيفة الرقيقة من وريقات الازهار
تنتظر منذ الصيف سدى
قدوم ابن اختي للرقاد عليها
وهـذا الطائر غـريـر ، يغني ويغني عـلى الفنن في
الحديقة

من اجل ابن اختي البعيدة
ضحية الاسحار المشوبة بالضباب في الغابة .

آه ، اني لاذكر ذكراً تماماً
كانت هناك نظرة وداع
في عينيه الوداعة
وكان صوته كالهمس الخافت الابح
اليائس الفاجع ...

يا افريقية ، يا ارض الوطن ، خبريني
كيف امست اختي في الغابة
اختي التي لم تعد تهبط الى المدينة
مع اطفالها الابدية
« واحد على ظهرها وآخر في بطنها »
ومع ذلك صوتها الابدي وهي تنادي على ما تحمله
من تجارة ؟
يا افريقية ، يا ارض الوطن

على الاقل لاتتخلى عن اختي فهي مثال البطل
وخلديها بين آثار المجد التي تحملينها بين يديك

(ترجمة : عبد الرحمن صدقي)

٢

المسرح في افريقيا

نشأة المسرح في افريقيا

ان للمسرح في افريقيا تاريخاً غير قصير ، [illegible] حبيسة ، وحفظته على ايام كانت هي المحافظة على كل تراث .

في عام ١٨٢٩ نشر « هوج كلابرتون » مذكرة له تشمل بعض المعلومات عن مسرح الاقنعة في نيجيريا .[٤٧] وذلك من خلال مشاهدته عرضاً لفرقة متجولة ، وكان يسمى بمسرح « الاقنعة اليوروبي » [٤٨] .

والمسرح في افريقيا قد ظهر في مراحل ثلاث وهي :

اولاً المرحلة الطقوسية ، وهو استعمال الاقنعة ، الى الظهور بالاقنعة يرتديها الممثلون ،

وكان في وقته للمناسبات علمانية وطقوسية ، فاصله يرجع الى الطقوس الدينية يقوم بها رجال مقنعون .

ثانياً ، المرحلة الاحتفالية وهو نوع من الاحتفال لكل الارواح ، وفي نيجيريا كان يسمى بـ (اولوجوجو ، [illegible]) وفيه يحضر الاسلاف باقنعتهم ويسمح لهم بزيارة العشيرة واسـ[illegible] في شكل موكب لمدة محددة ، وفي قصر الملك يقدمون عرضاً مسرحياً امام ساحته ، وكان العرض يأخذ شكل دراما راقصة ، وكل الممثلين يقدمون مقنعون قصة بتاريخ العشيرة مع مصاحبة تراتيل الكورالية يؤديها الاطفال المنتمون للعشيرة وفي النهاية ينتشرون في الاحياء وتقدم لهم الهدايا ويرقص الناس في حلقات .

ثالثاً، هي المرحلة المسرحية، وهي نتيجة طبيعية لتطور المرحلة الاحتفالية، ولكن في هذه المرة، تقدم كل مجموعة من الممثلين المقنعين عرضاً

تنافسياً، وفيه يختار احسن مجموعة وتمنح جائزة يقدمها الملك وغرض الجائـزة ، هو التشجيـع على الابداع .

وفي العشرينيات من هذا القرن بدأ المسرح الافريقي يخرج على الكنيسة على يد فئة من الشباب ثقفت بعض فنون المسرح في اوربا ، امثالهم «سقاي قبرا مدين» في اثيوبيا . ولكن الذين كتبـوا في هذا المجال ، راحوا يكتبون على وفق النموذج الاوربي ، لا الكنسي ، واخرجوا ، وادارو ، ويحفـظ تاريـخ المسرح لبعضهم فضائل لاتنكر » (٥٠) .

وفي ثلاثينيات هـذا القرن ، عنـدما اخـذت معظم الكنائس في افريقيا تتجه اتجاهاً استقلاليـاً عن كنائس المبشرين ، كان هذا في شكل مسرحيات مـأخوذة من الانجيـل ، وشملت تلك المسرحيـات قصص آدم وحواء ويوسف واخوته ، الامـر الذي

اصبحت فيه عروضها تشبه حركة المسرح الديني في بدايته في القرون الوسطى في اوربا .

ثم بعد ذلك ، اصبح المسرح الافريقي جزءاً لايتجزأ من وظائف الدولة ، وتقوم بادارته . من هنا ظهر المسرح المحترف . وهذا النوع من المسرح ، في نيجيريا ، بدأ على يد رجل يسمى (هوبرت اوكندا ، Hubert Oqinda) [٥١] . كـان يستعمل مسـرحه اللغـة اليوروبية ، وهـو الذي عمل عـلى علمنة المسـرح اليوروبي وترك القصص المأخوذة من الانجيـل . ومارس في مسرحه النقد « الاجتماعي » ، كما ان له مسرحية سياسية (يوروبا رونو) .

واخيراً، وصل المسرح الافريقي الى، الدرجة الواقعيـة أي المسرحيـة الواقعية التي تجسـد الواقع المعاصر في الارض السوداء . مثال على ذلك ، مسرحية سكان المستنقع ، لكاتبها ، وولف سوينكا من نيجيريا ، الذي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩٨٦ م .

٣

في الفن الافريقي

في البدء كان الفن ، والفن كان عند افريقيا ، والفن هو افريقيا ، لكننا لانعرف عنه سوى القليل . فاذا سألنا سؤالاً بسيطاً ، هل الفن الافريقي واحد ام انه مجموعة الفنون ؟ كما انه ليس هناك فن اوربي واحد بل مجموعة فنون ، ومدارس تتقاطع احياناً واحياناً اخرى تفترق .

في هذا الصدد يقول الاديب الكبير ليبولد سيدار سنغور : « هنا فن افريقي واحد وروح افريقية واحدة رغم طابع القارة السوداء الفسيفائي الجغرافي والديني والاقتصادي » . ودليلنا على ذلك هو انه هناك الزنوجة التي تؤسس قاعدة لهذا الفن عندما ترسم الخصائص الثقافية والحضارية .

والفن في افريقيا شأنه شأن الفنون لدى الامم الاخرى ، له انواعه الفنية المتعددة كالشعر والرقص

والغناء الى غير ذلك من الانواع الفنية . والانسان الافريقي عرف الكثير من الفنون والصناعات وله اسلوبه الخاص في النحت والحفر على الخشب وتشكيل النحاس وطرق الحديد وهذا ما نعرفه بالفن الحرفي اي الفن العملي ، الذي يمثل قطاعاً مادياً للثقافة اي النشاط الانتاجي للانسان ـ وهذا النوع من الفن بوصفه نسقاً ثقافياً لاتخلو منه اية ثقافة سواء كانت في الحاضر او في الماضي . ذلك لان للانسان واقعاً فطرياً في تشكيل الاشياء بصورة خلاقة ، وهذا العمل الفني الذي يقوم به الانسان ، انما يحدد به الثقافة التي ينتمي اليها . لان الفن ظاهرة اجتماعية ثقافية ومفهومه وعناصره تختلف من ثقافة لاخرى .

وبالبحث عن الفنون الافريقية في عهد ما قبل التاريخ والعهد السابق للاستعمار والعهد الحديث بالنسبة للوضع الذي تحتله في اطار الثقافة الافريقية ، نجد : اولاً في عهد ما قبل التاريخ ، الاشكال الفنية في افريقيا تشتمل على الرسوم والصور الملونة التي رسمت على الصخور في جنوب افريقيا

وموزامبيق وتصور اشخاصاً ينتمون الى ثقافات افريقيا مختلفة .

كذلك تصور هذه الاشكال الحيوانات في السهول والحشائش والغابات وقد رسمت هذه الصور بالتراب الاحمر والفحم النباتي والصلصال الابيض وما يبعث للدهشة ان الوانها الزاهية لاتزال كأنها حديثة العهد .

كذلك ان الفنون الافريقية فيما قبل التاريخ تشتمل على اشكال حجرية ومعدنية واشكال صنعت من الطفال الحراري . وتؤلف الاشكال الحجرية التي اكتشفها العلماء الارفولوجيون البريطانيون والفرنسيون في افريقيا الغربية، اكبر مجموعة من هذا النوع من الفنون الافريقية القديمة . وهذه الاشكال لا تزال شائعة في الاشكال التقليدية المعاصرة التي نجدها في غرب افريقيا وهي تدل على شعب قديم نجح في تطوير اشكاله الفنية واصطناع اساليب معينة في اشغاله اليدوية ، شعب يبدو انه ينحدر كله من اصل افريقي لان نتاجه الفني لا يصور الا ملامح زنجية .

لقد استخدمت افريقيا معادن النحاس والفضة والذهب منذ عهد مبكر جداً في ادوات الزينة وخاصة في مملكة غانا القديمة في السودان الغربي . وشاع استعمالها عند قبيلة الاشانتي إذ تزين بها اعضاء العائلة المالكة او كأقنعة في شكل وجه بشري ، وهذه الاستخدامات نجدها في شرق افريقيا ، وفي جنوب موزامبيق التي كانت تزود العالم الاسلامي وقت ذاك بثروته الذهبية .(٥٢)

لم يكن الفن الافريقي حديثاً . انه فن قديم . لقد عثر الباحثون في التقنيات الاثرية الحديثة علىٰ سبعة عشر عهداً من الفنون الافريقية القديمة يتميز كل واحد باسلوبه الخاص ، ويعود اقدمها الى العصر الحجري المفصل (اليولتيك ٥٠٠٠ ـ ٢٥٠٠) قبل الميلاد (٥٣) .

ومن موزامبيق الى جنوب افريقيا العنصرية نجد منحوتات هنا وهناك تعود الى العصر الحجري الاوسط ، كما نجد الملاجىء والكهوف في الجبال المنتشرة في جنوب القارة . كل هذا يكشف عن الماضي الافريقي في مجال الفنون العملية لزمن بعيد .

ثانياً، اما الفن الافريقي في العهد السابق للاستعمار في جنوب الصحراء الكبرى، نجده يشتمل على فن الرسم، النحت والتصوير. غير ان اشكاله من حيث التطور متفاوتة بين شعوب هذه المنطقة. كانت هذه الفنون عند البوشمن والبانتو اكثر تطوراً من تلك التي نجدها لدى الهوتنتوت. وقد ظل فن الرسم والتصوير قائمـاً على الصخـور التي اكتشفت في عهد ما قبل التاريخ حتى العهد الحديث نسبياً. اما حالياً فقد لجأ كل من البوشمن والبانتو والهوتنتوت الى صناعة النحاس وجعلوا رؤوساً مسننة حديدية للسهام والرمـاح. ويشتمل فن هـؤلاء عـلى الانمـاط الزخـرفيـة والاشكال الهندسية المكررة لدى البوشمن. غير ان الفنون التشكيلية في معظم اجزاء البوشمن والبانتو اقتصرت على انتاج اشكال صغيرة من قوالب طينية ترمـز الى المواشي وبني الانسان. كذلك الاقنعة من الاعشاب والاخشـاب. والاشكال الخشبية ترمز الى النساء والرجال.

وهنـاك انتاج فني وفـير يتجـلى في صنـع الخـرز والضفائر وخواتم النحاس الاصفـر وتسريحـات الشعر المختلفة وقوالب الطين المصنوعة في شكل انابيب والحلل الحديدية والدروع المزينة بزخارف بسيطة والمراح المصنوعة من الحديد والخشب. كذلك الازياء التي تصمم للمناسبات الخاصة باعتبارها وسيلة للتعبير الجمالي.

ثـالثاً، امـا العهد المعـاصر. فقد قـام الافريقيـون بتـوسيع نـطاق تذوقهم الجمـالي الاصيل للشكـل والفن والتصميم باستخدام وسائل جديدة او وسائل قديمة طبقت عليه طرق حديثة. ودوافع الاعمال الفنية اخذت تبتعد عن المفاهيم والاشكال الدينية القديمة مثل النحت الذي يعبر عن قوة آلهة الطبيعة.

كذلك اخذت هذه المفاهيم والاشكال الفنية تبتعد عن الرموز المقترنة بالقيم الاجتماعية القديمة واخـذت تفتح نوافذ جديدة في الحياة الاقتصادية والاعتراف بدور الفنان في المجتمع على اسس جديدة.

يبدو هذا التجديد والتحول النسبي في الاشكال الفنية الافريقية في الفن الكلاسيكي في حالة اضمحلال وتراجع امام تيار التجديد. اضافة، الى ذلك نجد عاملاً خارجياً استعمارياً وهو الاحتكاك بامريكا واوربا الامر الذي افسد كثيراً من ذوق الفنانين الافريقيين فيما يتعقل بالتراث الفني الافريقي واستلهامه في عملية التجديد [illegible] او الاعتزاز بتراث الماضي الغني من اجل خلق تأثير ملهم يبعث الثقه بمـ[illegible] مستقبلها الفني.

على اية حال ان الفن الافريقي شأنه شأن كل الفنون لدى الامم الاخرى. هو الوسيلة المعبرة عن هذه الشعوب او الامم على حدة، كالفن اليوناني ووسائله والوظيفة التي يؤديها لهذه الشعوب اليونانية.

ونحن في افريقيا قد عرفنا الفنون منذ القدم باشكالها المختلفة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تدخل ضمن مكوناتنا الثقافية.

كذلك نحن في افريقيا ابناء الصوت والصوت في افريقيا هو الانسان. لعل السكينة هي التي اعطت الايقاع هذا البعد الفلسفي. هناك الغابات اللامتناهية، والحقول الشاسعة والبحيرات التي تبدو وكأنها فواصل بين الكلام والكلام. ففي خضم هذه الطبيعة لا تستطيع الا ان تكون مغنياً وراقصاً وفناناً نحاتاً او رساماً مبدعاً.

المصادر

بديعة امين — في المعنى والرؤية ، دراسات في الفن والادب لعام ١٩٧٩ .

جمال محمد احمد — مطالعات في الشئون الافريقية، سلسلة ثقافية ، القاهرة ، دار الهلال، العدد ٢١٨ مايو ١٩٦٩

جمال محمد احمد — في المسرحية الافريقية ، دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم عام ١٩٧٣

دينيز بولم — الحضارات الافريقية الطبعة الثانية عام ١٩٨٢

فؤاد دوارة (ترجمته) — الفنان في عصر العلم، ومقالات اخرى لعام ١٩٧٧

كوزمو بيترس و دونالد — ترجمة كاظم سعد الدين، الصراع والاجتماع في الادب الافريقي.

ماريودي اندرادي — الشعر الافريقي باللغة البرتغالية

محمد عبد الغني السعودي — قضايا افريقيا ، سلسلة عالم المعرفة العدد ٣٤ الكويت، اكتوبر ، ١٩٨٠

محمد عبد المولى — حركات التحرير الافريقية

المير اسماعيل اسماعيل علي — السلالات البشرية عام ١٩٨٢

مختارات في الشعر الافريقي الاسيوي — دار الاداب ـ بيروت ـ سلسلة الادب الافريقي الاسيوي (١) بدون سنة وبدون مؤلف

الصحف المجلات:

بدر الدين حسن علي — نشأة وتطور المسرح الافريقي في نيجيريا، مجلة الاقلام ، العدد ١١ لعام ١٩٧٨ .

بولان جواشيم — صحيفة اورينت برس الفرنسية ترجمة جريدة الثورة العراقية الصادرة في ٢٦/٣/١٩٨٥م.

ليبولد سيدار سنغور — جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٥٤٧٢، في ٢٥/١/١٩٨٤م.

ليبولد سيدار سنغور — مجلة الوطن العربي العدد ١٩٣

الدكتر سعد ناجي جواد — محاضرات في تطور السياسة في افريقيا جامعة بغداد كلية القانون والسياسة، عام ٨٤ ـ ١٩٨٥م

وليم باسلوم وملفيل مير سكوفنتز — الثقافة الافريقية دراسات في عناصر الاستمرار والتغير ترجمة عبد الملك الناشف

ـ الدكتور عاطف وصفي — الانثروبولوجية الثقافية، ١٩٧١م .

Neto, Antonio Agostenho

The new encyclopedia

britanica

micropadia

Volume VII

15th edition

Publisher — William Benton

Publisher — 1943 — 1973

Helen Hemingway Benton

publisher — 1943 — 1974

page 272

الهوامش:

---

(١) جيرالد مورو ، سبعة ادباء من افريقيا ص ١١ ـ ١٢ (دار الهلال ، العدد ٣١٨ ، القاهرة).

(٢) الانواع الادبية : مثل المقالات ـ القصص ـ الشعر الى اخر ذلك .

(٣) كوزمو بيترس ودونالد مونرو ، الصراع والاحتجاج في الادب الافريقي ، ص ٥ ـ ٦ ، ترجمة كاظم سعد الدين .

(٤) هناك بعض عناصر مادية لتحقق القومية والافريقية تفقد بعضها . مثل وحدة اللغة والاصل والدين . لكن هناك استثناءات من هذه القاعدة ، اذ ان اللغة والدين

والاصل لم تعد عناصر مهمة

انظر في ذلك سموحي فوق العادة ، معجم الدبلوماسية والشئون الدولية ، ص ٢٧٦ ، طبع عام ١٩٧٩ م .

(٥) دينيز بولم ، الحضارات الافريقية ، ص ٨٨ .

(٦) المصدر السابق ص ٩١

(٧) المصدر السابق ص ٩٤

(٨) القبائل الافريقية في جنوب السودان

(٩) المير اسماعيل علي ، السلالات البشرية، ص ١١٥ (١٩٨٢)

(١٠) جمال محمد احمد ، مطالعات في الشئون الافريقية · ص ٢٩ سلسلة ثقافية ، القاهرة ، دار الهلال ، العدد ٢١٨ ، مايو ١٩٦٩ .

(١١) الدكتور عبد الرزاق مطلك الفهد ، حركة التحرر الوطنية الافريقية من بداية دخول السيطرة الغربية حتى الاستقلال الطبعة الاولى عام ١٩٨٥ ، ينظر اليه بشكل عام . كذلك محمد عبد المولى ، حركة التحرر الافريقية ص ٦٩ .

(١٢) كوزمو بيترس ودونالد مونرو ، الصراع والاحتجاج في الادب الافريقي ص ٣٤ ، ترجمة كاظم سعد الدين .

(١٣) ذلك لان في اخر الرواية خرج فرستون من مدينة افوزين بعد ان فشل في الزواج من مابيل وما ترتب ذلك الانفصام في شخصيته

(١٤) لتوضيح فكرة الصراع في الوعاء الالهي ، انظر . بديعة امين ، في المعنى والرؤية، دراسات في الفن والادب ص ١٧٠ وما بعدها ، طبع ١٩٧٩ ، بغداد .

(١٥) التمثُّل في علم النفس الاجتماعي يعني تكيف سلوك الفرد بحياة جماعة عن طريق الاقتباس في اتخاذ المواقف والعادات .

(١٦) كوزمو بيترس و دونالد مونرو ، الصراع والاحتجاج في الادب الافريقي · ص

١٥٦ ، ترجمة كاظم سعد الدين .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(١٨) ماريودي اندرادي ، الشعر الافريقي باللغة البرتغالية ص ٣٠ .

والجدير بالذكر ان هذا الشعر كتب باللغة الكريولية في جزر الرأس الاخضر وترجم الى لغات اخرى .

(١٩) كوزمو بيترس ودونالد مونرو ، ص ١٣٣ ، ترجمة كاظم سعد الدين .

(٢١) ان دعاة الاستعمار يعدون افريقيا وشعوبها ، شعوباً لا تاريخ لها وفي المجلد الثالث من مؤلفات المانيا في نهاية القرن التاسع عشر ، المسمى بـ « تاريخ الجنس البشري والعالم » ، اكد الدكتور هنريك شوتز بان تاريخ افريقيا لايستحق الدراسة . انظر : الفنان في عصر العلم ومقالات اخرى ، ترجمة فؤاد دوارة ، ١٩٧٧ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢٢) جمال محمد احمد ، مطالعات في الشئون الافريقية ، سلسلة ثقافية ، ص ٨٧ ، القاهرة ، دار الهلال ، العدد ٢١٨ مايو ١٩٦٩ م.

(٢٣) المصدر السابق ص ٨٨.

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٩٠ وما بعدها .

(٢٥) ماريودي اندرايودي ، الشعر الافريقي باللغة البرتغالية ص ٧٤ .

(٢٦) محمد عبد الغني سعودي ، قضايا افريقيا ، سلسلة عالم المعرفة رقم (٣٤) ، الكويت ، اكتوبر ١٩٨٠ م ص ١٩٣ .

(٢٧) ماريودي اندرايودي ، الشعر الافريقي باللغة البرتغالية ص ٩٨

(٢٨) الوطن العربي ، العدد ١٩٣ ، ٢٤ ـ ٣٠ اكتوبر ١٩٨٠ م

(٢٩) بولان جواشيم ، جريدة الثورة العراقية ، نقلاً عن صحيفة اوريئت برس الفرنسية ، الصادرة ٢٦/٣/١٩٨٥ م.

(٣٠) مامبا جاخو احد زعماء السنغاليين الذين قاتلوا ضد الاستعمار الفرنسي

(*) اسماء مدن .

(٣١) جيرالد مورو ، سبعة ادباء من افريقيا ، القاهرة ، دار الهلال العدد ٣١٨ ص ٧٧.

(٣٢) مختارات من الشعر الافريقي الاسيوي ، سلسلة الادب الافريقي الاسيوي رقم (١) ، دار الاداب ـ بيروت ـ (بدون سنة الطبع).

* ولد عام ١٨٦٤ بجزر الراس الاخضر وتخرج في كلية الطب ، له مجموعة قصائد تحت عنوان « اشعار » . توفي عام ١٨٩٠ م .

* ولد عام ١٩٠٧ بجزر الراس الاخضر . نال ليسانس الحقوق والادب الروماني ، له روايات تدعى « شيكينو ».

(٣٥) ماريودي اندرادي ، الشعر الافريقي باللغة البرتغالية ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٣٦) المصدر السابق ص ٣٨ .

* ولد عام ١٩٠٦ في مدينة جوال الساحلية ، لأبوين مسيحيين . كان ابوه يعمل في تجارة الخروع . عمل سنغور استاذاً بمدرسة دراسات ما وراء البحار ، كان عضواً بالمجلس الاوربي الذي تكون في مايو (مايس) ١٩٤٩ (من بلجيكا ، فرنسا ، الدنمارك ، ايرلندا ، ايطاليا ، لكسمبورج ، هولندا ، النرويج ، المملكة المتحدة)لبحث كل الشؤون ذات المصلحة المشتركة ما عدا الدفاع الوطني . كان نائباً عن السنغال في الجمعية الوطنية ووزيراً في الحكومة الفرنسية ـ يعتبر سنغور اول افريقي من غرب افريقيا يتلقى تعليماً فرنسياً اكاديمياً الى اعلى المستويات . واول افريقي ايضاً ينال درجة الاجريجاسيون Agregation . واول رئيس للسنغال بعد الاستقلال في عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٨٢ م.

ديوانه الاول « اغاني الظل » الذي نشر في عام ١٩٤٥ م. وثاني ديوان له هو

« الضحايا السود » الذي تم نشره عام ١٩٤٨ والديوان الثالث « حبشيات » صدر عام ١٩٥٦ .

وبعد تخليه عن الرئاسة السنغالية عام ١٩٨٢ ، انفرد الى العمل الثقافي وهو عضو في الاشتراكية الدولية ورئيس الاشتراكية الافريقية وعضو بالاكاديمية الفرنسية وبهذا فهو اول افريقي يصبح عضواً في هذه المؤسسة .

(٣٣) القول : اول افريقي يعني افريقيا السوداء

* داود ديوب ، شاعر الثورة الافريقية المولود عام ١٩٢٧ م لاب سنغالي وام كامرونية في مدينة بوردو « المدينة الفرنسية المعروفة » . كان شعره يمثل التمرد والرفض الصريح للغزو الحضاري الاوربي الغربي . له كتاب « دقات هاون »

توفي في سبتمبر عام ١٩٦٠ بالقرب من مدينة داكار في حادث سقوط طائرة .

(٣٤) مجلة الثقافة السودانية ، ص . ٤٢ ، عام ١٩٧٦ ، « بدون عدد اي مجلة سنوية » .

(٣٨) جمال محمد احمد ، مطالعات في الشئون الافريقية . ص ٧٦ ـ ٨١ ، سلسلة ثقافية ، القاهرة ، دار الهلال ، مايو ١٩٦٩ .

(٣٩) المصدر السابق ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٤٠) مختارات من الشعر الافريقي الاسيوي ، سلسلة الادب الافريقي الاسيوي رقم (١) ، دار الاداب ـ بيروت ـ (بدون سنة الطبع وبدون مؤلف) .

* انطونيو اغستينو نيتو ، ولد في ٧ سبتمبر ١٩٢٢ في قرية اكولو ICOLO Ebengo الانجولية ، وتخرج في كلية الطب بجامعة لشبونة وكويميرا Lisbon Coimbra في البرتغال . ظهر على مسرح الحياة العامة في عام ١٩٤٨ عندما نشر له ديوان شعر في لواندا Lunda . التحق نيتو بالحركة الثقافية الوطنية التي تهدف الى اكتشاف قوالب ثقافية انجولية مثل التي حدثت في غرب افريقيا الفرنسية . نيتو واحد من المثقفين

الذين دعموا مسيرة المدرسة الانجولية الثقافية التي نشأت في اواخر القرن التاسع عشر والتي تعدّ شعلة مضيئة وبؤرة النضال الوطني الانجولي .

انضم هؤلاء المثقفون الى صفوف الحركة الشعبية لتحرير انجولا «Movimento poputor de lebertacao de Angola» وذلك في الستينيات ، وكان نيتو واحداً من المناضلين الثوريين الذين انضموا الى صفوف الحركة .

اعتقل نيتو « Neto » لاول مرة وذلك لنشاطه السياسي وندائه الى ضرورة اعتماد اسلوب الكفاح المسلح ضد الاستعمار وذلك بعد عودته من لشبونة عام ١٩٥٩ . اعتقل للمرة الثانية في يوليو « تموز » عام ١٩٦٠ وبينما هو في المعتقل تظاهرت الجماهير احتجاجاً على اعتقاله ، وقد ادت هذه المظاهرة الى الصدام بين المتظاهرين والسلطة الاستعمارية الامر الذي ادى الى سقوط شهداء وجرح اكثر من (٢٠٠) شخص . مكث Neto بعد ذلك في المعتقل لمدة سنتين في جزيرة كيب فيرد Cape Verde.

لقد عرف Neto بنشاطه الادبي الواسع في كتابة الشعر ففي البرتغال كتب ديوانه الشعري الجديد . وفي علم ١٩٦٢ هرب الى المغرب والتحق بحركة تحرير الشعب الانجولي وفي نهاية عام ١٩٦٢ انتخب رئيساً للحركة .

وفي عام ١٩٧٥ عندما اصبحت انجولا دولة مستقلة كانت هناك ثلاث حركات تحررية وكانت تناضل كلها من اجل استقلال انجولا ، احداها « MPLA » السالف ذكرها ، التي كانت تساندها كوبا وهي تسيطر على الاقليم الاوسط بما في ذلك العاصمة لواندا Lunda . ونيتو Neto الذي كان معروفاً بنشاطه الماركسي ثم تنصيبه اول رئيس لانجولا « جمهورية انجولا الشعبية » ونيتو معروف بكتاباته في الشعر الافريقي باللغة البرتغالية . نشر له بعض نتاجاته في كثير من المجلات البرتغالية والانجولية .

توفي Neto ، في ١٠ سبتمبر عام ١٩٧٩ م [٤١]

(٤١)

41— Neto , Antonio Agostenho

The new encyclopedia Britanica Micropaedia Volume VII 15th editionub-lished — William Benton published 1943 — 1973 Helen Heminway Benton Published 1973 — 1974 . page 272.

(٤٣) المصدر السابق ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٤٤) المصدر السابق ص ١٢٨ ـ ١٣٠ .

(٤٥) نفس المصدر السابق ص ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٤٦) المصدر السابق ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(٤٧) بدر الدين حسن علي ، مجلة الاقلام ، العدد ١١ لعام ١٩٧٨ م

(٤٨) يوربا ، هي قبيلة من القبائل الافريقية في نيجيريا التي احتضنت هذا الفن .

(٥٠) جمال محمد احمد ، في المسرحية الافريقية ، دار التاليف والترجمة ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٣ ، ص ١١ .

(٥١) بدر الدين حسن علي ، مجلة الاقلام ، العدد ١١ ، لعام ١٩٧٨ م.

(٥٢) وليم باسكوم وملفيل هيرسكوفتز ، الثقافة الافريقية دراسات في عناصر الاستمرار والتغير ص ٦٧ ، ترجمة عبد الملك الناشق الطبعة ١٩٦٦ ـ بيروت .

(٥٣) دينيز بولم ، الحضارات الافريقية ، انظر بالتفاصيل والقراءة الدقيقة فيه

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية
تتناول مختلف العلوم
والفنون والآداب

رئيس التحرير:
موسى كريدي
سكرتير التحرير:
ماجد اسد

دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام